جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2175) - السنة (53) جمادى الآخرة 1444هـ / 1 يناير 2023م

ماذا خسرت الشعوب بتغييب الإسلاميين

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 15000 ليرة - المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - Uk £ 3

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

موقع المجتمع

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

mugtama magazine

اشترك أو جدد

المجتمع

داخل الكويت: 10 د.ك

الدول العربية: 17 د.ك

الدول الأجنبية: 25 د.ك

المؤسسات والشركات: 30 د.ك

شاملة عمولة التحويل

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2175) - (السنة 53)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم حمد القحطاني

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني:

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة - الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

ماذا خسرت الشعوب بتغييب الإسلاميين؟

- الكويت مركز للإشعاع الفكري والثقافي 6
- السويدان: الإسلاميون مثّلوا تهديداً للكيان الصهيوني والحضارة الغربية فتكالبوا عليهم 10
- دعاة وناشطون: خسائر متعددة للشعوب الإسلامية والعربية بعد تغييب الإسلاميين 14
- نفوذ اليمين الديني في الحكومة الصهيونية الجديدة ومخاطره 36
- «الكريسماس».. أصله وفصله 50
- المثلية الجنسية.. أبعاد التحريم الإسلامي 54

مقالات

عن مقولات الفشل السياسي للإسلاميين — ناصر حمدادوش — 24

الموندیال وقيم القرية الواحدة — د. يوسف السند — 57

الحركة الإسلامية والصندوق الوهمي — سالم حمد القحطاني — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

آية العدد

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾

(الأنفال)

نتائج انتخابية لكيان إرهابي وشعب دموي

أياً كانت النتائج التي أفرزتها الانتخابات الصهيونية الأخيرة، فإنها لن تعدو أن تكون انتخابات لعصابة إرهابية تنتخب قيادة أكثر تطرفاً وإرهاباً.

فقد أجريت هذه الانتخابات (2022/11/1م) على وقْع مجازر يرتكبها جيش الاحتلال الصهيوني بحق شعبنا الفلسطيني المرابط، وعلى وقْع اقتحامات إجرامية مستمرة للمسجد الأقصى المبارك، وعلى وقْع بناء المزيد من المستوطنات.

وما أفرزته تلك الانتخابات من نتائج إنما يأتي على جماجم وأشلاء الشعب الفلسطيني.

وبناء على نتائج اختيارات الشعب الصهيوني المجرم، فقد حازت قوى اليمين الديني اليهودية المتطرفة على مواطن نفوذ هائلة في حكومة «بنيامين نتنياهو»؛ وتبدو عازمة على توظيف انضمامها للحكومة الجديدة في تحقيق هدفها المتمثل في حسم الصراع لصالح الصهاينة، وتقليص قدرة الفلسطينيين على مواصلة المقاومة والبقاء.

أي أن المنطقة ستكون مقبلة على مزيد من التوتر والحروب ضد الشعب الفلسطيني، ومحاولات طرده وتشريد المزيد من أبنائه، وذلك هو قرار الناخب الصهيوني.. قرار المزيد من القتل والإبادة للشعب الفلسطيني من كيان إرهابي وشعب دموي! وغني عن البيان هنا، فقد تلاعب المرشحون بشتى أصنافهم بمشاعر الناخبين بتضخيم خطر المقاومة الفلسطينية، والخطر النووي الإيراني، وقد أسهم ذلك في تصويت الناخب الصهيوني لقوى الإرهاب والتطرف.

وفي الوقت نفسه، فإن الدعاية الصهيونية تواصل -عبر الآلة الدعائية والإعلامية- تضخيم الخطر الإيراني والمشروع النووي على المنطقة بأسرها؛ لمحاولة جر المنطقة العربية إلى حالة من العداء مع إيران، وإننا مع إدراكنا لخطورة المشروع الطائفي المدعوم من إيران في المنطقة، إلا أن التعامل معه لا يكون أبداً بالعداء والتوتر، وإنما بالحوار والتفاهم بين دول المنطقة وإيران، للوصول إلى أرضية مشتركة يحفظ من خلالها أمن جميع دول الإقليم.

لكن الذي لا ينبغي تناسيه أو تجاهله، هو أن الخطر الأكبر على المنطقة بأسرها يكمن في المشروع الصهيوني السرطاني، الذي يتربَّص بالمنطقة كلها شراً، ويخطط لإبادة الشعب الفلسطيني، وتشريد من تبقى من أبنائه على أرض فلسطين، وتهديد دول المنطقة في أمنها واقتصادها ومستقبلها، وإن نتائج الانتخابات وهوى الناخب الصهيوني يؤكد ذلك.

ومن هنا، فإن على الدول العربية جميعاً أن تلتقي على كلمة سواء، وتركز إستراتيجيتها المستقبلية على مواجهة ذلك المشروع الصهيوني بقوة، وأن تقدم الدعم بكل أنواعه لتيار المقاومة على أرض فلسطين، وليس العمل على إضعافه، لأنه يمثل حائط الصد الأول ضد تيار الإرهاب والتطرف المتصاعد الذي يقود الكيان الصهيوني حالياً.■

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

الكويت مركز للإشعاع الفكـــ

د. السيد شعبان
أديب وروائي

استوعبت كل تيارات الفكر العربي والإسلامي في صياغة عبقرية لدولة آمنت بالإنسان أياً كان

تحتل دولة الكويت في الواقع العربي مكانة جديرة بالتقدير والاحترام؛ تعود لعهود الآباء المؤسسين للدولة الحديثة فيها؛ فعطاؤها وتواجدها في قضايا الأمتين العربية والإسلامية بله الإنسانية يشهد به المتابع، وتدل عليه شواهد الخير والعطاء؛ فلقد نأت بنفسها عن التجاذبات، واشترعت لخط سيرها الوسطية بحكمة بعدت بها أن تكون طرفاً في أي صراع.

تلك مقدمة بين يدي القول عن دورها في الإبداع الفكري والثقافي على الصعيد العربي؛ حيث أنفقت دولة الكويت -وما تزال- الكثير من المال حسبة وإحياء للثقافة العربية، في وقت تخلت كثير من الدول في محيطنا العربي والإقليمي عن مظاهر قوتها الناعمة، وأبرزها بكل تأكيد الكلمة المكتوبة والمرئية.

فحين اختفت من واقع الثقافة العربية مجلات كبيرة مثل «الرسالة»، و«الثقافة»، و«المقتطف»، كانت مجلة «العربي» الكويتية على موعد لتسد الفراغ وتربي الذائقة العربية؛ وغير بعيد عن «العربي» كتاب «عالم المعرفة» الذي يعد تميزاً علمياً وزاداً معرفياً لم ينقطع حتى في فترة الغزو العراقي الغاشم على الكويت التي أبت أن تترك القارئ العربي للزيف والجهل الذي دفع تلك الطغمة المجرمة لتستبيح الحرمات وتنتهب الخيرات وتتنكر لبد البر والوفاء.

ناهيك عن كثير من الإصدارات الأخرى من سلسلة المسرح العالمي أو روايات عالمية أو الصحف.

الثقافة الإسلامية

وهنا يأتي الحديث عن تواجد الكويت في الفكر الإسلامي وتميزها في معالجة

ـــــري والثقافي

الجديد مما طرأ على الساحة الفكرية، وتلك الحالة المتميزة التي تشهدها الحياة في تلك الدولة التي جعلت من الثقافة والكلمة مظهراً أساسياً لقوتها الناعمة في عالم لا يحترم غير التميز والقوة، ويأتي في هذا السياق مجلة «المجتمع» التي تحتفي في مارس القادم بمرور 53 عاماً على صدورها، حرصت فيها على أن تظل -كما اختطت لنفسها من البداية- «مجلة المسلمين في أنحاء العالم».

لقد استوعبت الكويت كل تيارات الفكر من عروبي قومي وإسلامي وسطي في صياغة عبقرية لدولة آمنت بالإنسان أياً كان؛ دون تفريط في الثوابت العقدية ولا الانتماء لمحيطها العربي الإسلامي!

كما أن هناك إصدارات أخرى عديدة سواء من جامعة الكويت، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، بالإضافة لإصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فجامعة الكويت تصدر وحدها عشر مجلات علمية محكمة، منها ما يصدر باللغة الإنجليزية؛ مما تبلغ به الدهشة حالة من العجب والافتخار بما يبذل جلاء للمعرفة وبعثاً لجيل مثقف ينتمي لأمته!

يقول د. خليفة الوقيان، في كتابه «الثقافة في الكويت بواكير- اتجاهات- ريادات»: «إن المنجزات الحقيقية التي يحق ذكرها ويقتضي المنهج العلمي الوقوف عندها وتوثيقها، ونحن نتناول الثقافة في الكويت هي التي صنعها الرجال والنساء الذين استوطنوا هذه الأرض الفقيرة في مطلع القرن السابع عشر، وتغلبوا على الصعاب والمعوقات، وأقاموا مجتمعاً مدنياً متحضراً من أهم ملامحه الاهتمام بالثقافة، والإيمان بالديمقراطية، والسعي لمواكبة ركب التطور، وطبيعة النظام الكويتي يقوم على الانفتاح ومقاومة الغلو في المعتقد ويبعد عن التجاذبات السياسية».

ولعل أجمل ما أختم به تلك المقالة ما كتبه د. محمد الرميحي، رئيس تحرير مجلة «العربي» الأسبق، في فبراير 1996م: «الثقافة في الكويت هي جزء من تيار كامل ومتدفق من الثقافة العربية وهي رافد من روافدها، ولكنه الأكثر جرياناً، والأرحب ضفافاً، تماثله الحركة الثقافية في بيروت والقاهرة ودمشق، وهو مع العديد من روافد الثقافة العربية يصب في هذا النهر المتدفق».

لذلك كانت مسيرة الكويت باهرة تتحدى بموقعها وتواجدها في منطقة الخليج والوطن العربي؛ حتى عرفت بأنها عبر تاريخها مجتمع الحرية والحياة الديمقراطية والتضامن والتكافل الاجتماعي.■

أحد مؤسسي جمعية الإرشاد الإسلامي أوائل الخمسينيات

محمد يوسف العدساني.. مسيرة حافلة بالعمل الوطني

كتب- المحرر المحلي:

فقدت الكويت أحد أبرز السياسيين في البلاد محمد يوسف العدساني الذي وافته المنية يوم 30 نوفمبر 2022م عن عمر ناهز الـ97 عاماً، بعد مسيرة زاخرة بالعمل الوطني.

ولد العدساني في الكويت عام 1925م، وزخرت مسيرته بالعمل السياسي البرلماني والحكومي إلى جانب عمله الدبلوماسي.

فقد شارك في انتخابات مجلس الأمة لدورات عدة، وفاز في انتخابات عامي 1967 و1981م، فيما خسر في انتخابات عامي 1963 و1985م، وترأس مجلس الأمة بين عامي 1981 و1985م.

وتولى الفقيد حقائب وزارية؛ إذ كان وزيراً للتخطيط في العامين 1976 و1978م، ووزيراً للأشغال في عام 1978م، كما تولى رئاسة المجلس البلدي، وكان عضواً في مجلس التخطيط، وسفيراً للكويت لدى كل من المملكة العربية السعودية والصومال ولبنان.

وترأس الراحل في عام 1949م نادي المعلمين، وكان أحد أعضاء جمعية الإرشاد الإسلامي في بدايات تأسيسها أوائل خمسينيات القرن الماضي.

وفي عام 1959م عُين عضواً في الهيئة التنظيمية لإدارة شؤون البلاد، ورئيس جهاز يختص بعمل دائرة الإرشاد (الإعلام حالياً)، ثم اختير رئيساً لتقييم الجهاز الإداري في وزارة المالية والنفط في عام 1962م.

شهدت فترة رئاسته لمجلس الأمة الخامس عام 1981م إنجاز الكثير من مشروعات القوانين، منها قانون بشأن إنشاء الهيئة العامة لشؤون القُصَّر، وقانون بإنشاء الهيئة العامة للاستثمار عام 1982م، وقانون بإنشاء بيت الزكاة، وقانون بإنشاء الهيئة العامة للتعليم التطبيقي عام 1982م، وقانون بالموافقة على اتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري بين الدول العربية بتاريخ 5 مارس 1983م، بالإضافة إلى اقتراحات النواب المتعلقة بشؤون الإسكان وزيادة رواتب الموظفين وتحسين المرافق العامة في بعض المناطق.

هذا، وقد نعاه عدد من السياسيين ونواب مجلس الأمة وعلماء، متضرعين إلى المولى تعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته.

وأبَّن مجلس الوزراء رئيس مجلس الأمة الأسبق وزير التخطيط وزير الأشغال العامة الأسبق محمد يوسف العدساني، مشيداً بمناقب الفقيد وجهوده المخلصة وإسهاماته الوطنية العديدة في مختلف المجالات والميادين أثناء تبوئه بكل جدارة واقتدار العديد من المناصب الرفيعة، سائلاً المولى عز وجل أن يرحمه بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته.

وقال رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد مذكور المذكور، عن الراحل: قامة سامقة من قامات رجال الكويت المميزين، تقلد رحمه الله عدة مناصب وزارية، ويعتبر من المصادر في تاريخ الكويت اجتماعياً وسياسياً، مضيفاً أنه كان من النشطاء في جمعية الإرشاد الإسلامي.

وأشار النائب عيسى الكندري إلى أن الفقيد أحد أبرز الحكماء السياسيين في تاريخ الكويت الذين كانت بصماتهم بارزة في دعم الديمقراطية والإصلاح.

وتقدم النائب أسامة الشاهين باقتراح تسمية أحد مرافق الدولة العامة أو شوارعها الرئيسة باسم المرحوم محمد يوسف العدساني، تقديراً لأدواره الوطنية الرسمية والأهلية الكبيرة والاستثنائية.■

عود علي الخميس الفزيع..
فقيد العمل الخيري الكويتي

سيف باكير

فقدت الكويت، الجمعة 2 ديسمبر 2022م، أحد رواد ومؤسسي العمل الخيري الشيخ عود علي الخميس الفزيع، عن عمر ناهز 76 عاماً.

كرس الفقيد، يرحمه الله، حياته للعمل الخيري، وأنجز مئات المشاريع الخيرية في الكويت منذ السبعينيات، وقد سافر إلى 42 دولة لتنفيذ المشروعات الخيرية.

جمع الفزيع بين الدعوة والخطابة والدروس والخواطر والعمل الخيري، فضلاً عن الارتحال إلى خارج الكويت لتنفيذ ومتابعة العمل في المشروعات الخيرية الكويتية.

ولد في شرق بمنطقة المطبة عام 1946م، ودرس المرحلة الابتدائية في مدرسة الشرقية، ومدرسة المتنبي في المرحلة المتوسطة، ثم المرحلة الثانوية في ثانوية كيفان.

ودرس في مصر وتخرج عام 1970م، وعمل في وزارة الخارجية الكويتية لمدة 10 سنوات، وأكمل دراسته الشرعية في السعودية حيث مكث فيها 7 سنوات ونصف سنة، وبعدها عاد إلى الكويت ودرّس في دور القرآن التابعة لوزارة الأوقاف.

يعد الفقيد من مؤسسي زكاة العلبان عام 1974م، وترأس لجنة زكاة كيفان، ولجنة العمل الخارجي في جمعية النجاة الخيرية.

وذكر الراحل، في لقاء أجراه معه د. خالد الشطي، رئيس مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني (فنار)، ضمن برنامج «رواد الخير»، أن لجنة زكاة العلبان سميت بهذا الاسم نسبة إلى مسجد العلبان بمنطقة كيفان.

وقال: إن الغرض الإستراتيجي من إنشاء اللجنة هو إيصال الزكاة إلى مستحقيها، ومساعدة التجار والمقتدرين على دفعها، حتى يتم وضعها في المصارف التي حددها القرآن الكريم.

وأشار الراحل إلى تعاونهم مع العم عبدالله العلي المطوع، رحمه الله، في هذا الشأن، لافتاً إلى أن العم عبدالله المطوع الذي يستفتح اسمه دائماً في قوائم العمل الخيري كانت عنده قائمة بأسماء التجار الراغبين في دفع الزكاة، وعندما يرى التجار اسم عبدالله العلي المطوع، على القائمة، كانوا يستجيبون ويدفعون الزكاة.

وكانت من وصاياه، رحمه الله: الصدقة تحفظ الفرد وتحفظ الدولة، وتقي مصارع السوء، وعلى كل مواطن أن يحمد الله تعالى على نعمة الخير والسلام والأمان التي تتمتع بها الكويت.

من جانبه، قال رئيس اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية د. عبدالمحسن الجارالله الخرافي عن الشيخ الفقيد: إنه لسنوات طوال بلغت ثلث قرن من الزمان وهو يخطب الجمعة والعيدين في مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وأشار إلى أن الفقيد كان شديداً في الحق، وقد حفظه الله تعالى من كيد قوات الاحتلال، حيث شنع عليهم وأغلظ القول فيهم في خطبة يوم الجمعة ثاني أيام الاحتلال قبل أن ينتشروا في المناطق السكنية.

وعن سماته، قال د. الخرافي: كان رحمه الله تعالى دمث الأخلاق، متواضعاً، حسن المعشر، متواصلاً مع الجمهور الكريم ويحظى بثقتهم، فلا يجد عناء لتسويق مشاريعه الخيرية عندهم.

وأضاف: لعله من علامات الرضا والقبول أنه أتم في يوم رحيله يوم الجمعة الثاني من ديسمبر فروضه ونوافله على السواء، ففضلاً عن أدائه فروضه وخطبته الجمعة يومها، فقد كان يلقي خاطرة الفجر في إحدى ديوانيات منطقة خيطان عن فضائل سورة «الكهف».■

أكد المفكر الإسلامي د. طارق السويدان أن ظهور الحركة الإسلامية بعد سقوط الخلافة الإسلامية كان يمثل تهديداً للكيان الصهيوني الذي كان مزمعاً ظهوره حينها، وكانت تهدد أنظمة الاستبداد، وتهدد الحضارة الغربية كلها بأنها البديل لهذه الحضارة؛ لذا تكالبت عليها الدنيا.

لكنه أكد أنه مع ذلك ومع تعلُّق الشعوب بالإسلام، ما زالت الحركة الإسلامية رغم كل هذا الضغط صامدة وثابتة.

وأشار، في حواره مع «المجتمع»، أنه إن كان الإسلاميون خسروا السياسة في بعض المجتمعات بسبب تغييبهم، فإن هذه المجتمعات هي التي خسرت أكثر؛ حيث إن الجهد المجتمعي للإسلاميين يصل إلى 95% مقابل 5% للسياسة.

أجرى الحوار: سعد النشوان

المفكر الإسلامي د. طارق السويدان لـ«المجتمع»:

الإسلاميون مثّلوا تهديداً للكيان الصهيوني والحضارة الغربية فتكالبوا عليهم

الحركة ما زالت صامدة وستظل بعد توفيق الله تعالى وبجهود أبنائها المخلصين

قوة الحركة الإسلامية ليست بجهودها أو ضعف أعدائها بل لتعلق الناس بالإسلام

العمل السياسي عند الإسلاميين لا يشكل أكثر من 5%.. و95% من جهودهم عمل مجتمعي

● بداية، نتشرف بأن تكون «المجتمع» اليوم في ضيافة المفكر د. طارق السويدان، حياكم الله.

– الشرف لي، وشكراً لـ«المجتمع» التي ربتنا ونحن صغار، وما زالت تربي الأجيال؛ فهي أبرز مجلة إسلامية في العالم الإسلامي كله، فشكراً لكم على هذه الدعوة الكريمة.

● بعد سقوط الخلافة، ظهر الكثير من الحركات الإسلامية، وشاهدنا هجوماً على هذه الحركات منذ بدايتها من قبل القوى الغربية وبعض الأنظمة؛ فلماذا هذا الهجوم الشديد؟ هل هو خوف من عودة الخلافة؟

– ليس خوفاً من عودة الخلافة فقط، بل من الإسلام نفسه؛ فهو تحدٍّ حضاري وليس فقط تحدياً سياسياً، اليوم الغرب يعتبرون أنفسهم هم المرجع لكل البشر، ورأينا هذا مثلاً في أثناء المونديال في قطر، حيث إنهم يريدون أن يفرضوا حتى أخلاقهم على الدولة التي تستضيف المونديال، والحمد لله أن قطر كان لها هذا الموقف المشرف في مقاومة هذه المسألة، والإصرار على قيمنا وأخلاقنا.

ونحن نقول لهم: أنتم لستم المرجع، نحن نعتبر أن الإسلام هو المرجع؛ فهو الذي سيسود الدنيا كلها وسيحكمها بالأخلاق التي دمرتموها أنتم، فهذا تحدٍّ وصراع حضاري.

هذا جانب، أيضاً في فترة ما بعد سقوط الخلافة كان التمهيد لظهور الصهيونية، وكان أكبر تحدٍّ للوجود الصهيوني كله هو الحركة الإسلامية،

فالدول والحكومات الهزيلة انبطحت أمام الكيان الصهيوني، وهي ليست تهديداً له؛ فالمهدد الحقيقي للكيان الصهيوني هو الحركة الإسلامية، هذه هي الحقيقة.

فإذن، الحركة الإسلامية تهدد الكيان الصهيوني، وتهدد أنظمة الاستبداد، وتهدد الحضارة الغربية كلها بأنها البديل لهذه الحضارة، هذا التهديد الضخم طبعاً كان لا ينبغي أن يمر بسلام؛ ولذلك تكالبت عليها الدنيا، ومع ذلك، وهذا من فضل الله عليها، ومع تعلُّق الشعوب بالإسلام؛ ما زالت الحركة الإسلامية رغم كل هذا الضغط صامدة وثابتة، ولم تغيِّر مبادئها أو مواقفها، وظلت تتحدى الصهاينة، وتتحدى الغرب وتغيِّر في الأمة تغييراً جذرياً إلى اليوم.

تخيل لو أن الحركة الإسلامية تم دعمها من قبل الأنظمة التي يفترض أن تدعمها؛ لأن هذه الحركات ما جاءت لتهديد هذه الأنظمة، إنما تمثل تهديداً للأنظمة الاستبدادية.

فإذا أنتم مستبدون فسنبقى شوكة في حلوقكم، وإذا أقمتم العدل فسنكون خدماً عندكم، لكن هذه المعادلة لم تُرضِ الأنظمة الاستبدادية، وحاولت بكل جهدها أن تقضي على الحركة الإسلامية، من خلال السجون والقتل والتشويه والإعلام المضاد وغيره، ومع ذلك فإن الحركة ما زالت صامدة، وستظل صامدة بعد توفيق الله تعالى وبجهود أبنائها المخلصين.

● إذن، ترون أنه رغم الهجوم الشديد على التيارات الإسلامية، فإنها في تنامٍ؛ فأين السر في هذا؟

– السر ليس في الحركة الإسلامية، وليس حتى في الأنظمة التي تهاجم الحراك الإسلامي، إنما السر الحقيقي أن أمتنا تحب الإسلام، وترتبط به.

● هل هذا ارتباط روحي؟

– ليس فقط روحياً، بل ارتباط وجودي؛ فأمتنا تحب الإسلام، وتحب الرسول صلى الله عليه وسلم، الناس حتى الفاسد منها يحترم العلماء ويحترم من يريد الدين ويحترم المسجد، وأمتنا تربت على هذا، ولا يمكن تغييرها، وهذا عكس الشعوب الغربية التي أثبتت الإحصاءات في فرنسا، مثلاً، أن الذين ذكروا أنهم يحبون الدين 28%، وفي بريطانيا 31%، هؤلاء قالوا: إنهم يحبون الدين وليس شرطاً أن يكونوا ملتزمين به.

فأمتنا تحب الإسلام، فعندما تأتي حركة إسلامية لا تكتفي بالدعوة إلى الإسلام؛ بل تقدم لهم خدمات إغاثية وتربوية ودعوية؛ فطبعاً الناس يحبونها ويتعلقون بها.

ولذلك، ففي مصر، مثلاً، بعد «الربيع العربي» حدثت فيها 5 استحقاقات انتخابية، فلما كان هناك انتخاب حر فاز فيها «الإسلاميون» كلها، فقوة الحركة الإسلامية ليست بسبب جهودها أو بسبب ضعف أعدائها؛ بل قوتها الحقيقية لأن الناس يحبون الإسلام، ويحبون من يدعو إليه.

● وهذا يقودنا إلى السؤال المهم: ما أثر تغييب الإسلاميين عن المجتمع بصفة عامة؟ وهل المجتمع في احتياج لهم؟

– النتائج واضحة جداً؛ يعني في مصر، مثلاً، 18 ألف جمعية خيرية تم منعها، هؤلاء الذين يشتغلون مع الأيتام، وخدمات التعليم، والعمل الاجتماعي، وإصلاح الأسرة إذا فسدت أوضاعها، وتربية الشباب، ومقاومة المخدرات.. هذا كله لم يعد موجوداً.

والنتيجة النهائية أن الناس وضعهم الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي أسوأ، وانتشار الفساد والمخدرات أكبر، وانتشار الطلاق والمشكلات الاجتماعية أبرز، وقِسْ على هذا كل المجالات.

فالناس يقولون: إن الإسلاميين خسروا الجانب السياسي، صحيح أنهم خسروا ذلك، لكن الأمة خسرت كل هذه المجالات بخسارة الإسلاميين.

فالعمل السياسي لا يشكل عند الإسلاميين أكثر من 5%، و95% من عمل الحركة الإسلامية عمل مجتمعي.

ولذلك، أحسَنَ من اختار اسم «المجتمع» لمجلتكم؛ لأن العمل المجتمعي هو الأساس، وهذا تجده في الكويت، حيث الاهتمام بالعمل الخيري والاجتماعي ومحاربة المخدرات والجهود المبذولة في إصلاح التعليم وتطويره.. هذا يشكل 95% من عمل الإسلاميين.

فلما غيَّبت بعض الدول الإسلاميين -ليس كلها والحمد لله- ومنعت أي عمل إسلامي، فالحقيقة الشعب خسر 95% من الجهود التي كانت تخدمه؛ فهذه هي المشكلة التي نتجت عن تغييب الإسلاميين.

الإسلام نظام شامل للحياة لكن ليس بالضرورة أن منظمة واحدة تدير كل الحياة

تغييب الإسلاميين أحد أسباب الظواهر الاجتماعية السلبية

والجانب السياسي يذهب ويأتي، وعلى الإسلاميين أيضاً أن يدركوا أن السياسة آخر المعادلة وليس أولها، يعني هي النتيجة؛ فعندما نغيِّر المجتمع سيحكم الإسلام، لكن بعض الناس مستعجلون يريدون أن يحكموا بالإسلام قبل أن يتغير المجتمع؛ فالعمل يجب أن يكون متراكباً؛ لا تنظروا إلى الفشل والنجاح على أنه نجاح وفشل السياسة؛ السياسة هي آخر شيء.

● بصفتكم مفكراً ومن قادة العمل الإسلامي، هل للإسلاميين دور فيما حدث إليهم؟

– هذا سؤال مهم، لكنّ هناك سؤال أهم قبل هذا، وهو: هل يمكن أن يقوم عمل إسلامي بدون عمل سياسي؟ والإجابة أنه ممكن، لكن ستصبح حركة مثل جماعة التبليغ؛ دعوة وتربية فقط، وليس هناك تغيير حقيقي للمجتمع.

سيكون كأن الإسلاميين رضوا بأن يحكم المستبدون، وينتشر الفساد المالي؛ لأنه ليس لهم شغل بالسياسة، والسياسة هي التي تحكم، وهي التي تغيِّر القوانين، وتحارب الفساد المالي.. يعني لماذا تطورت تركيا؟ السبب هو أنه حينما جاء حزب «العدالة والتنمية» أوقف معظم الفساد المالي، فاستطاعوا في إسطنبول فقط توفير 20 مليار دولار في سنة واحدة بسبب إيقاف الفساد! فأين ذهبت هذه الأموال؟ ذهبت للتعليم وتنمية المجتمع؛ فلهذا كله هل يطالَب الإسلاميون بألا يبذلوا أي جهد في إصلاح السياسة والاقتصاد؟! فلو فعلوا هذا سيكونون حركة ليس لها شوكة، كما يقولون.

إذن، فلماذا لم ينجح الإسلاميون في هذا؟ الخطأ في ظني أننا عملنا كل هذا تحت مظلة واحدة؛ فيجب في المستقبل ألا يشتغل الإسلاميون تحت مظلة واحدة؛ يجب أن يتوزع الجهد، فالذي يعمل في العمل الخيري لا يشتغل في السياسة، فهناك من يدير الفكر، ومن يدير التربية، ومن يدير الاقتصاد، ومن يدير السياسة.. يجب الفصل بين كل هذه العمليات وألا تكون عملية واحدة، وهذا لا يتنافى مع شمولية الإسلام؛ فالإسلام نظام شامل للحياة، لكن ليس بالضرورة أن منظمة واحدة تدير كل الحياة، فالإسلاميون إذا أرادوا النجاح فعليهم أن يفصلوا أعمالهم في مؤسسات مستقلة.

● ألا يوجد نموذج الآن في الواقع الإسلامي يمكن الإشارة إليه في المؤسسية؟

– طبعاً، تجربة تركيا واضحة جداً؛ مثلاً حزب العدالة والتنمية هو الذي يدير تركيا، ولديه أعضاء ليسوا ملتزمين إسلامياً؛ فقد استطاعوا أن يكسبوا المجتمع.

وأيضاً هذا الحزب لا يشتغل دعوة بشكل مباشر؛ ففيه مؤسسات دعوية، وأخرى للأوقاف، والتعليم.. فإذا أردت العمل بالسياسة مارس السياسة، ولا تمارس معها عملاً خيرياً، وآخر إعلامياً، أو دعوياً؛ بل وزِّع الجهد، وهذا ينفعك من ناحيتين؛ الأولى أنه لا يمكن ضرب هذا العمل المؤسسي بضربة واحدة، مثل ما حدث في بعض الدول، والثانية أن كل مؤسسة ستنمو وتتحسن.

● ظهرت في مجتمعاتنا بعض الظواهر الغربية والغريبة علينا مثل الإلحاد والشذوذ.. وغيرهما؛ فهل هذا نتيجة تغييب الإسلاميين؟ وهل عليهم دور الآن، أم أنهم معذورون بتحجيم حركتهم؟

– لي تعليقان رئيسان على هذا السؤال؛ أول شيء أن هذه الأمور ليست ظواهر؛ فحتى نسمي شيئاً «ظاهرة» يجب أن ينتشر بين 10% من أفراد المجتمع أو أكثر، وما نتكلم عنه سواء الشذوذ أو الإلحاد لم يصل حتى 1% في كل مجتمعاتنا، حتى المجتمعات العلمانية تماماً والمغيبة؛ فهي لها بروز إعلامي لأنها غريبة على مجتمعاتنا؛ يعني لو أن

أتحدى أن تمتلك حركة في العالم العربي الطاقات الموجودة عند الحركة الإسلامية

خسارة المجتمعات بتغييب الإسلاميين أكثر من خسارتهم هم

امرأة تركت الحجاب كل الناس يتكلمون في ظاهرة ترك الحجاب، لكن عندما تتحجب 1000 امرأة لا يتكلم أحد!

الأمر الثاني الذي يجب أن يكون واضحاً أن هذه الأمور ليست فقط نتائج لتغييب الإسلاميين؛ وإنما أحد أسبابها، فنحن لا ننسب الفضل كله لأنفسنا، ونبين الأمر كأنه لو كنا موجودين لم تظهر هذه الأمور، ولما ذهبنا انتشرت.

بل أصل المشكلة هو الإعلام الفاسد القوي والممولّ في مواجهة الإعلام الإسلامي المحدود خاصة في الانتشار بين الناس؛ إعلام فاسد، مثل «نتفليكس» وغيرها، ينشر هذه المظاهر ويدعمها، وإمكاناته كبيرة، ونحن إعلام قيمي يرفض هذه المظاهر لكن إمكاناتنا ضعيفة حتى في أجواء الحرية؛ فما بالك بأجواء الاستبداد؟

الزميل سعد النشوان محاوراً د. طارق السويدان

والمصدر الثاني لهذه المشكلة هو التعليم، والإسلاميون يعانون من ضعف فيه أيضاً؛ فمثلاً الكويت بلد فيه حرية، لكن كم مدرسة يملكها الإسلاميون أو يديرونها؟ عدد محدود جداً بالمقارنة مع عدد المدارس الخاصة، ناهيك عن المدارس الحكومية، فالإسلاميون لم يصلوا في الإعلام في أي بلد إلا لـ2% فقط، وفي التعليم 5%؛ فكيف سيمنعونها؟!

إذن، هذه ظواهر لم يكن الإسلاميون سببها، ولا عدم وجودهم سبب ظهورها، هذه لها مصادر رئيسة عالمية ومحلية.

● والآن، كيف يمكن مواجهتها؟

- لا يمكن مواجهتها بالطرق التقليدية التي يمارسها الإسلاميون، بل لا بد من الإبداع والاهتمام بالإعلام والفن والدراما.

● هل يمتلك الإسلاميون الخبرة والمهارة الكافية لإدارة بعض مؤسسات الحكم في العالم الإسلامي؟

- دعني أسأل سؤالاً بطريقة عكسية: هل يوجد عند غير الإسلاميين هذه المهارة العالية لإدارة دولة؟ قريباً كنت مع أحد الوزراء الذي تسلم عمله مؤخراً، وعلاقتي الشخصية به وثيقة جداً، وهو لا يحب الإسلاميين، لكنه يحبني وصداقته معي قديمة من أيام الثانوية، فقلت له: عندي لك نصيحة، قال لي: ما هي؟ قلت له: أنا أعرف أنك لا تحب الإسلاميين، لكن نصيحتي ألا تستثنيهم من تولي المناصب عندك في الوزارة؛ ففيهم كفاءات، فضحك، وقال لي: والله يا أبا محمد أنت تعرفني، وأنا أعرفك، ووالله بحثت عن غيرهم فما وجدت!

فالإسلاميون اليوم لديهم كفاءات في الجانب السياسي، والتدريبي، ومنهم أفضل المدربين على مستوى العالم العربي، وعندهم كفاءات في التخطيط من أعلى المستويات، وفي التعليم كذلك.

وأنا أفهم الإسلاميين فهماً غير تقليدي؛ فالناس يفهمون الإسلاميين على أنهم المنخرطون في الحركة الإسلامية، لا.. أنا أفهم الإسلامي هو كل من يعتبر الإسلام قيمه وهدفه؛ فعندما يأتي وكيل وزارة بإحدى الدول العربية، وهو يحمل القيم الإسلامية وهدفه أن تتطور بلاده ويحمي الإسلام ويدعو إليه، هذا بالنسبة لي إسلامي.

إذا الجواب عن السؤال: هل يقدر الإسلاميون؟ سؤال أكبر من هذا: هل في غيرهم يقدر؟ أتحدى أن تكون هناك حركة في العالم العربي كله عندها الطاقات الموجودة عند الحركة الإسلامية، أتحدى أن يكون عند العلمانيين أو اليساريين ما عند الإسلاميين.

● ما رأيك في إتاحة الفرصة للشباب في إدارة العمل الإسلامي على حساب كبار السن؟

- أعتقد أنه لا بد من التكامل بين الشباب والخبرة، فهذه مسألة أساسية، وأدعو ألا يستمر أحد في نفس المنصب أكثر من 8 سنوات على دورتين، فالشباب ليس عندهم الخبرة الكافية أن يديروا أعمالاً ضخمة، فهم يحتاجون هذا التكامل، لكن في الوقت نفسه الكبار الذين ظلوا فترة طويلة في نفس العمل ولم يبدعوا عليهم أن يتنحوا؛ فالذي عنده الخبرة والإبداع أهلاً وسهلاً يدير، فمعظم الكبار يمتلكون الخبرة لكنهم يفتقدون الإبداع، ومعظم الشباب عندهم الإبداع لكنهم يفتقدون الخبرة؛ فالحل الأمثل هو التكامل بين خبرة الكبار وإبداع الشباب؛ بذلك ينجح العمل ويخرج بأفضل صورة.■

أكدوا أن الأمة فتية تضعف ولا تموت..

دعاة وناشطون: خسائر متعددة للشعوب الإسلامية والعربية بعد تغييب الإسلاميين

ماذا خسرت الشعوب العربية والإسلامية بتغييب الإسلاميين خلف الأسوار، وفي القبور، وتهجيرهم قسراً إلى خارج الأوطان؟

سؤال طرحناه على كوكبة من المهتمين والدعاة في بعض الدول العربية والعواصم الأوروبية؛ لعلنا نضع أيدينا على ما خسرته تلك الشعوب من تغييب الإسلاميين قسراً عن المشهد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والدعوي بشكل عام، وقد اتفقوا جميعاً على أن خسائر الشعوب العربية والإسلامية كانت كبيرة جداً وباهظة الثمن، خاصة أنها لم تقف عند المجال الديني والقيمي، بل تعدته إلى السياسي والاقتصادي والاجتماعي..

عامر: بتغييبهم تراجعت الأخلاق وكثرت الجريمة وزاد الفقر وانجرفت القيم وانتشر الإلحاد

تحقيق- محمد الجيزاوي:

كانت البداية من برلين، حيث أكد رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا الشيخ **طه سليمان عامر** أن الأمة تحتاج المعلم المربي، والعالم الرباني، والداعية الصادق، والطبيب الرحيم، والمهندس الأمين، والسياسي الشريف، والحقوقي المناضل، والإعلامي النزيه، والاقتصادي الثقة، والقوي الأمين في مهمته؛ فهؤلاء جميعهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والقائمون لله بالقسط.. وقد جسَّد الإسلاميون بوجه عام هذه النماذج مجتمعة في دول كثيرة، وبغيابهم عن ساحة العلم وميدان الدعوة ومجالات التعليم والتربية والتهذيب تراجعت الأخلاق، وكثرت الجريمة، وزاد الفقر، وانجرفت القيم، وتدحرجت الأخلاق،

وانتشر الإلحاد، وضعف العمل الأهلي، بل اقترب من التلاشي.

كما أدى غياب الإسلاميين في بلاد «الربيع العربي» وما حولها إلى اجتراء الأقزام على جناب الشريعة، وبدعوى تجديد الخطاب الديني تطاول الجهال على السُّنة النبوية والتراث الإسلامي، والاستهزاء بالرموز الإسلامية والتهوين من شأن التدين، وتقديم أهل الخلاعة والمجون على أنهم قدوات، وعمَّ الظلم الأقطار؛ وهنا تتجسد مقولة ابن خلدون الشهيرة: «إن الظلم مؤذن بخراب العمران»، وهي لم تتجاوز السنن الإلهية والحقائق التاريخية التي أشار إليها القرآن الكريم في قصصه حول سقوط الأمم وخراب البلاد بسبب شيوع المظالم واغتيال الحريات.

وقال الداعية الألماني: لقد عمَّ الظلم البلاد، وفي بلدان عديدة قُتل فيها خيرة العلماء والدعاة، وخلف أسوار الظالمين يقبع عشرات الألوف من المعتقلين من الإسلاميين أصحاب العقول التي تبني الأمم وتنهض بالعمران وتنشر الخير كما تنشر الشمس أشعتها.

وأضاف عامر أنه تم تأميم المنابر بعد إقصاء ألوف من العلماء والدعاة الصادقين الصادحين بالحق، فأصبحت خطبة الجمعة مادة لا روح فيها، ومضموناً خالياً من الرسالة الحقيقية.

وحول تأثير تغييب الإسلاميين على المسلمين بالغرب، أكد رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا أنه بعد الانقلابات على الحريات تحولت أنظمة دول عربية صوب مسلمي الغرب، ودفعوا أموالاً طائلة لحكومات ووزراء، وتم شراء صحفيين في العديد من الدول الأوروبية وقنوات وإعلاميين، ورشى في الحملات الانتخابية؛ من أجل التضييق على المسلمين في الغرب، وتجفيف منابع الدعم المالي، ومحاصرة المؤسسات الإسلامية العاملة على الساحة الأوروبية، وتأليب الحكومات عليها، بل وصل الأمر

الطلابي: أول خسائر شعوبنا عدم محاصرة الفساد المالي لأن الإسلاميين ليسوا فاسدين

أن حكومات أوروبية طلبت من دول عربية ألا تدفع تبرعات للمؤسسات الإسلامية إلا عن طريقها هي، ولها أن تعطي من تشاء وتمنع عمن تشاء.

غياب الأخلاق

ومن المغرب العربي، يؤكد **د. محمد طلابي**، المفكر الإسلامي المغربي، عضو المكتب الدائم للمنتدى العالمي للوسطية، أن إحدى النتائج السيئة والمرة لانكسار الربيع الديمقراطي في المنطقة العربية هو خروج الإسلاميين من دفة الحكم ومن الإدارة، وهذه فيها جوانب كثيرة من خسارة للشعب العربي المسلم، وطبعاً أهم خسارة هي أنه على الأقل حتى وإن لم يمتلك الإسلاميون الكفاءة السياسية في الإدارة، فقد كانوا يمتلكون الأخلاق والأمانة.

وأضاف د. طلابي أن إحدى الدعائم الكبرى للفساد والفقر والجهل والأمية والتخلف في بلادنا هو الفساد المالي؛ حيث يتم سرقة مئات ملايين الدولارات من قوت الشعوب لصالح الفاسدين؛ ولذا فأول خسائر شعوبنا من إبعاد الحركات الإسلامية هو عدم محاصرة الفساد

فرانسوا دي بورش: ما حدث بعد انهيار «الربيع العربي» سيساهم في إنضاج قراءة الإسلاميين لواقعهم

المالي الجاري؛ لأن الإسلاميين ليسوا فاسدين ولا مفسدين، وهذا الصلاح ركن أساسي للتنمية، ومحاربة الفساد المالي والأخلاقي دعامة أساسية للتنمية المستدامة.

وأضاف المفكر المغربي أن غياب الإسلاميين وإن لم يكونوا ذلك «القوي» إلا أنهم «الأمين» من الناحية الأخلاقية، فالاتجاه العام أنهم ملتزمون بدينهم وبأخلاق هذا الدين، وهو ما يجعل غيابهم خسارة للمنظومة الأخلاقية والسلوكية.

وعلى صعيد الفساد السياسي، فإن مشاركة الإسلاميين في الحكم إلى جانب الوطنيين العلمانيين يساعد على مزيد من الإصلاح الديمقراطي في المنطقة العربية والإسلامية؛ فتغييبهم عن الإصلاح والإدارة يعني مزيداً من الفساد السياسي وتركيز السلطة في يد الطغاة والغزاة والغلاة داخل المنطقة العربية، وهذا كله لا يخدم مصلحة الشعب العربي المسلم في النهضة والتنمية في مقبل العقود.

عوامل خارجية وداخلية

من جهته، يرى المفكر الفرنسي **فرانسوا دي بورش** أن عقوداً من الدكتاتورية والاستبداد أنتجت فراغاً سياسياً كبيراً وغياباً ظاهراً لصناع الرأي وقادة التغيير، وظهرت هذه الحركات الإسلامية في كثير من الأحيان كفاعل سياسي وحيد أمام هذه الكيانات الدكتاتورية التي لا تستطيع أن تصمد دون تقديم عدو مثالي تحذر منه وتثبت خطورته، ودون دعم من القوى الإقليمية والدولية التي تسعى للحفاظ على مصالحها ولو تغاضت عن كل الانتهاكات الجسيمة للحقوق السياسية والمدنية للشعوب، وفي المقابل كان خطاب الإسلاميين تغلب عليه لغة الحل الشامل والإسلام هو الحل.

وأضاف دي بورش أن غياب أو تغييب الإسلاميين عن الساحة نتاج عوامل خارجية وداخلية، بعضها موضوعية وأخرى ذاتية، مشيراً إلى أن ما حدث بعد انهيار «الربيع العربي»

سيساهم في إنضاج قراءة الإسلاميين لواقعهم، ولنواحي قصورهم، ولأهمية بناء الشراكات الحقيقية مع كل القوى والتيارات السياسية في أوطانهم، وألا يغتروا بالخزان الانتخابي أو باصطفاف الشارع بجانبهم؛ علَّ هذا يُحدث نوعاً من التحول الحقيقي باتجاه بناء ثقافة ديمقراطية ومشاركة سياسية حقيقية في المستقبل؛ حيث إن ما حدث هو تغييب الحرية والعدالة والديمقراطية في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدعوية والإعلامية والخيرية؛ وهو ما يعد خسارة كبيرة للشعوب العربية والإسلامية خلال العقد الأخير.

أما الشيخ **سامح الجبة**، المتخصص في الدراسات الإسلامية، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ويقيم في إسطنبول، فيؤكد أن أثر هذا التغييب (المتعمد من الأنظمة) كان كبيراً جداً على الأمة، حيث لم يعد هناك من يصُد ويرد عن قضاياها ومشكلاتها ويدافع عن هويتها وثقافتها بشكل صحيح؛ فعلى الصعيد الفكري والثقافي، نجد أنه انتشرت موجات الإلحاد وأفكار التشكيك في الثوابت الإسلامية، إلى جانب ثقافة اليأس والإحباط، وعلى الصعيد الاجتماعي، انتشرت موجات التحلل الأخلاقي والسلوكي، والدعوة إلى التفكك الأسري، وزادت معدلات الجريمة والبلطجة في المجتمعات العربية للأسف الشديد بسبب تغييب الإسلاميين.

وعلى الصعيد الاقتصادي، تدهورت

الجبة: لم يُقدَّم للناس منهج دعوي صحيح يُقوي إيمانهم ويُصحح عقائدهم

أحوال الناس معيشياً بعد أن ازدادت معدلات الفقر والبطالة، وأصبحت حياة الناس متدنية لأقصى درجة، وقد كان لغياب الإسلاميين في ميدان العمل الخيري الأثر العظيم، حيث لم يعد هناك من يقدم الدعم للفقراء والمحتاجين، ويخفف عن كواهلهم شر العوز والفاقة؛ ما ينذر بكارثة ماحقة لهؤلاء في ظل تجاهل أنظمة الثورات المضادة.

ولفت الداعية السابق بألبانيا أنه على الصعيد الدعوي كانت الفاجعة عظيمة؛ لأنه لم يُقدَّم للناس منهج دعوي صحيح يُقوي إيمانهم ويُصحح عقائدهم بالشكل الصحيح؛ فانتشر الانتحار، وفُقِدت الثقة بالنفس، ولم يَعُد للناس طموح في العمل والجد والتمييز، بينما انتشر الفساد والاستبداد والظلم على الصعيد السياسي، وأُهدِرت مقدرات الأمة وثرواتها وحدودها مما أدى إلى ترسيخ التبعية لأعدائها.

صيحة تحذير

ومن الولايات المتحدة الأمريكية، يؤكد الداعية الإسلامي **أكرم كساب** أن الحديث عما خسرته الشعوب بتغييب الإسلاميين يجب أن تسبقه الإشارة إلى أثر الإسلاميين في شعوبهم، والحق أن هذا الأثر لا يستطيع أن ينكره إلا حاقد جاحد أو جاهل ساذج، ذلك أن

كساب: الواقع يرسل صيحة تحذير من المنحدر الرهيب الذي وصلت إليه الشعوب الإسلامية

الإسلاميين لم يتركوا مجالاً إلا وأثروا فيه، فقد كان أثرهم بارزاً في تبصير الناس بدينهم، وتمسكهم بشعائره، فضلاً عن رعاية الفقراء والمساكين، وتبصير الناس بقضايا أمتهم، ونشر الوعي، وعلى رأس ذلك ما يتعلق بالفهم الشامل للإسلام؛ الإسلام الحضاري الذي يقود ولا ينقاد، إسلام الأمة الواحدة لا القطر الواحد.

ويضيف كساب: الواقع الآن يرسل صيحة تحذير من هذا المنحدر الرهيب الذي وصلت إليه الشعوب في العديد من عالمنا الإسلامي، وبالأخص منها تلك الدول التي ذاقت طعم الحرية بعد «الربيع العربي»، وعلى سبيل المثال؛ ففي مجال الدعوة ظهر صوت الدعاة المبررين لكل ما يفعله الحكام في كل شيء، وظهرت الدعوات السلبية التي ترفع شعار «دع الملك للمالك والخلق للخالق»، وبرز وبقوة

التصوف الخرافي السلبي لا التصوف الحقيقي.

وواصل الداعية الإسلامي قوله: ظهر الفقر بكل أشكاله في البلاد العربية بعد أن غابت الجمعيات الخيرية التي كان يقوم عليها الإسلاميون رعاية وعناية، وظهر التفاوت الطبقي الرهيب؛ حيث اغتنى أناس ومات آخرون كمداً وغماً، وضاعت قيمة العلم أكثر وأكثر بعد أن ظهر على الشاشات الجهلة والإمعة، وزادت نسبة العري بعد أن ازدادت السخرية من الحجاب والمحجبات، وأقيمت المسلسلات والأفلام لتشويه صورة الإسلاميين ونسائهم، كما زادت نسبة الإلحاد بعد أن فتح الباب لنقد كل شيء إلا الحاكم المستبد، فهل من حرية التعبير والكلمة أن تسب الأئمة، وترمي الفقهاء بالتخلف؟ وهل من حرية الرأي أن تنكر السُّنة، وتلعن البخاري، ومسلماً؟ هذا كله والعلماء القادرون على الرد مغيَّبون، وأعداء الإسلام تفتح لهم القنوات ليل نهار.

وأضاف كساب: لقد غاب الإسلاميون ففقدت الأمة جزءاً كبيراً من كرامتها وعزتها، فازداد قهر المسلمين في الشرق والغرب؛ كما في ميانمار وكشمير وتركستان الشرقية، وازداد قهر أهل السُّنة في اليمن والعراق وسورية ولم نسمع صيحات التحذير كما كنا نسمعها من قبل، بل وإن القضية الفلسطينية تمر بأسوأ أيام لها بعد أن غاب المدافع الأول عنها من شباب ورجال ودعاة الإسلاميين، فضُيِّق على أهل فلسطين بما لم يكن من قبل، بل وبات الحديث عن القضية الفلسطينية في بعض البلاد الإسلامية مما يعاقب عليه فاعله!

اليوم الموعود

ومن لبنان، يقول المسؤول السياسي السابق للجماعة الإسلامية في طرابلس **إيهاب نافع**: إنه لا يزال العالم العربي يعاني من تقهقر مريع وانحدار سريع

نافع: الحركات الهدامة بدأت ببث سمومها من إلحاد وشذوذ جنسي وأفكار تخريبية

على جميع الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها خلال العقد الأخير بسبب تغييب الإسلاميين، حيث إنه ما إن برزت في مطلع القرن العشرين حركة إسلامية رائدة أدت دوراً مهماً في نهضة العالم العربي وتقدمه، إلا سرعان ما تآمر عليها الغرب بمعاونة عملائه ببلادنا العربية لإجهاضها.

وأضاف نافع أن المستبدين العرب يقمعون الحركات الإسلامية بدعم غربي، ويشوهون صورتها بالأكاذيب عبر إعلامهم المأجور لإفساح المجال للحركات المشبوهة لإبعاد الشعوب العربية عن كل ما يربطهم بالإسلام، ولكن ما إن تركت مساحة من الحرية للشعوب العربية حتّى انتفضت على واقعها المرير واختارت الإسلام وأحكامه خياراً وحيداً لها، وبدأ العالم العربي يستعيد دوره شيئاً فشيئاً، ووقفت مصر بإدارة الشهيد الرئيس محمد مرسي بالمرصاد للخطط الصهيونية في فلسطين، ودعا الأمة، رحمه الله، للاكتفاء الذاتي من غذائنا

صابر: انهيار مسار الدعوة الوسطية لصالح انحلال شديد أو تشدد مقيت

وسلاحنا ودوائنا ليستعيد العالم العربي والإسلامي ريادته.

وواصل القيادي بالجماعة الإسلامية بلبنان أن الغرب انقضّ بكل ما أوتي من قوة وعبر أدواته التنفيذية المتمثلة في الحكم العسكري؛ ليقوّض هذه التجربة الرائدة وليقضي على حلم الشعوب العربية والإسلامية بالتحرر، لتخسر أمتنا الكثير بسبب الثورات المضادة لـ«الربيع العربي»، وتختفي كثير من الإنجازات التي حصلت على يد الإسلاميين، ويصاب العمل الخيري والاجتماعي بالشلل ويتوقف بحجج أمنية واهية، كما بدأت الحركات الهدامة من جديد ببث سمومها من إلحاد وشذوذ جنسي وأفكار تخريبية بعد تغييب الحركات الإسلامية، حتى بدأت الشعوب تستشعر أهمية هذه الحركات وتعرف قيمتها، وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر.

الطامة الكبرى

في حين، يؤكد البرلماني المصري السابق الكاتب **د. محمد عماد صابر** أن الشعوب العربية والإسلامية خسرت الكثير بتغييب الإسلاميين؛ فقد خسرت حكاماً كان هدفهم المستقبلي تحرير فلسطين والمقدسات الإسلامية، ولم يكتفوا بالتشدق وتوفير الأسلحة الفاسدة كغطاء للهزيمة، وقال: إن خسائر الشعوب العربية متعددة؛ فعلى الصعيد السياسي تم اعتماد الفجور السياسي كوسيلة سياسية في المنظومات الحاكمة العربية؛ ففقدت السياسة ما تبقى من أخلاقيات كان الإسلاميون يحافظون عليها؛ فتكلس الحراك السياسي، وفقدت الشعوب الشهية للتغيير بعد فقدان القدرة على التعبير السياسي بغياب الإسلاميين.

واقتصادياً؛ خسرت الشعوب غياب المشاريع الاقتصادية لرؤوس الأموال لرجال أعمال من هذا الفصيل، وزاد الفقر والفساد المالي بصورة خطيرة.

واجتماعياً؛ حدث انهزام نفسي داخل المجتمع واهتزاز وسقوط القيم

المجتمعية المحافظة، وشيوع الرذائل المجتمعية والأمراض النفسية، وتدمير البنية التحتية للشبكات الاجتماعية التي عملت في مجال العلاقات الأسرية، بعد تغييب الناشطين في هذه الشبكات سواء بالاعتقال أم السفر إلى الخارج خوفاً من المطاردة الأمنية، أم الامتناع عن المشاركة في الحياة العامة.

ودعوياً؛ تسبب غياب الإسلاميين في انهيار مسار الدعوة الوسطية لصالح انحلال شديد أو تشدد مقيت، وتلك هي الطامة الكبرى.

وأضاف: كما أن شعوبنا خسرت الكثير نتيجة غياب منظمات المجتمع المدني والنقابات المهنية والعمالية، والاتحادات الطلابية والأحزاب السياسية، والإعلام الحر وعسكرة الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في بلادنا.

مستقبل العمل الاجتماعي

ومن لندن، يؤكد **د. شكري مجولي**، المنسق العام لهيئة علماء ودعاة تونس في أوروبا، أن العمل الاجتماعي جزء لا يتجزأ من ثقافة الحركة الإسلامية، يرتكز على قواعد صلبة من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وقد شكلت الحركة منظومة معرفية واسعة المدى من الأعمال التطوعية لدى نخبة من أبناء المجتمع، وتُعد جماعة الإخوان المسلمين في مصر رائدة العمل الاجتماعي، وهو أحد مصادر القوى الرئيسة لشعبيتها؛ نظراً لقدرتها على تنفيذ سلسلة من الخدمات الاجتماعية لصالح الفقراء والمساكين، في ظل غياب دور الدولة المركزية تجاه هذه الطبقة من المجتمع؛ وذلك من خلال إقامة المشاريع الاجتماعية في مجالات الصحة والتعليم والثقافة والفكر، وحلت أنشطة الإسلاميين الخيرية والمجتمعية محل الدولة وليس مساعداً لها.

وأوضح أنه بعد انقلاب 3 يوليو 2013م بمصر أغلق الجيش مئات

مجولي: الحركة الإسلامية شكلت منظومة معرفية من الأعمال التطوعية لدى نخبة المجتمع

الجمعيات الإسلامية والمؤسسات الخيرية التابعة للحركة الإسلامية لا سيما جماعة الإخوان المسلمين وغيرها من الجمعيات المجتمعية الأخرى، حتى تجاوز عدد الجمعيات المغلقة 1033 جمعية مختلفة الأنشطة.

وأشار مجولي إلى أن الحكومة فشلت في إدارة الجمعيات الخيرية، وحرمت الطبقة الفقيرة والأشد فقراً، رغم أنها استولت على كافة موارد الحركة الإسلامية؛ ما تسبب في إغلاق المؤسسات الخيرية بسبب الفساد المالي وسوء إدارة اللجان المشرفة، فضلاً عن توقف تبرعات أعضاء الجماعة وأنصارها والمتعاطفين معها التي كانت تدعم هذه المؤسسات، بالإضافة إلى حرمان الشعب المصري من مساهمات الحركة الإسلامية في مساعدة وعلاج الفقراء ورعاية الأيتام والأرامل وتزويج الفتيات في محافظات مصر، واختفاء نظام الكفالات الشهرية لأسر المحتاجين، وأنشطة تزويج الفقيرات وتجهيزهم، وتوفير نفقات العلاج للفقراء

عطا: الفراغ في العمل الخيري والتربوي والمجتمعي لا يمكن ملؤه إلا بعودتهم

سواء بالمعونات المادية أو عبر المؤسسات الطبية للجماعة، وتمويل مستوصفات خيرية خاصة تقوم بالكشف الطبي على الفقراء نظير أجور رمزية، إضافة إلى تسيير قوافل طبية لعلاج الفقراء في المناطق النائية يُنظمها أطباء الإخوان.

غياب الرعاية التربوية

ويقول الإعلامي اليمني **وديع عطا**: إن واقع الحال يؤكد أن الشعوب العربية تأثرت كثيراً نتيجة غياب الإسلاميين خصوصاً في مجال العمل الاجتماعي والتربوي فضلاً عن الخيري؛ فبالنظر إلى حال الناس في كل من مصر واليمن، على سبيل المثال، فإن ظروف آلاف الأسر تضررت كثيراً بسبب توقف برامج الدعم والرعاية الإنسانية التي كانت منتظمة إلى حد كبير عبر الجهات واللافتات الخيرية التي كانت إلى جانب وظيفتها الإنسانية تقوم بدور الرعاية التربوية لأبناء الأسر الفقيرة خصوصاً الأيتام منهم.

ويضيف أنه ما من شك أن الفراغ الذي تركوه في العمل الخيري والتربوي والإصلاح الاجتماعي لا يمكن ملؤه إلا بعودتهم؛ نظراً لخبرتهم الفريدة في إدارة هذه الملفات التي يشهد لهم الجميع بالتفوق فيها، ويمكن إدراك ذلك من خلال التعرف على ما آلت إليه أحوال الأحياء والمناطق السكنية التي كانوا فيها قبل أن يضطروا لمفارقة بلدانهم لظروف قاهرة.

بينما يقول **د. أشرف عبدالغفار**، القيادي بنقابة أطباء مصر سابقاً: لقد خسرت الشعوب الكثير بتغييب الإسلاميين في مجالات العمل الاجتماعي ومحو الأمية ونشر فكرة التعاون بين الناس، وإنشاء معاهد لتدريب العاطلين عن العمل تدريباً مهنياً، وكذلك كافة دروب العمل الخيري الذي لا يتقنه إلا من يؤديه ابتغاء وجه الله في مساعدة المحتاجين أو الأيتام أو الأرامل أو أصحاب الاحتياجات الخاصة،

عبدالغفار: ظهرت أيديولوجيات منحرفة تستغل المساعدات لحرف الناس عن الفطرة

فضلاً عن بناء المعاهد وإنشاء المدارس والمشافي والعيادات الخيرية المجانية بكل التخصصات وبكافة الأجهزة الطبية للفحص والعلاج مجاناً أو بأسعار زهيدة؛ فإذا غابوا ظهرت أيديولوجيات منحرفة تستغل هذه المساعدات لحرف الناس عن الفطرة السليمة.

ويؤكد عبدالغفار أن الشعوب خسرت كذلك في مجالات العمل السياسي والاقتصادي بغياب المنافسة الحزبية النظيفة التي يحاول الإسلاميون فرضها، وكذلك وجودهم يساعد في مراقبة أداء الحكومات بدلاً من تمرير «مصائب» في التشريع والرقابة بموافقة مجالس صورية ليس لها إلا أن تنفذ قرارات الحكام؛ لأنهم هم من أتوا بهم، فغياب الإسلاميين عن المجال السياسي يعني غياب المعارضة الحقيقية المخلصة الساعية لتحقيق سلامة الوطن واستقلال أراضيه والارتفاع به إلى القمة.

الشيء نفسه في الاقتصاد، فإذا وجد الاقتصاديون الإسلاميون أوضحوا عظمة الاقتصاد الإسلامي في إيجاد الحلول الناجعة لرخاء الوطن والمواطن؛ بينما تغييب الإسلاميين في مصر وغيرها عن كل الساحات أدى إلى انهيار البلاد سياسياً واقتصادياً، وأصبحت على حافة الإفلاس، وانهارت أخلاقياً وقيمياً، وضاع التكافل الاجتماعي.

ومن السودان، يوضح **د. محمد ضوينا**، الأستاذ بجامعات السودان وتركيا، أن الشعوب العربية خسرت كثيراً من الكرامة والقيم والعزة والهيبة والسيادة والدين، ولم يكن هناك سبيل ولا مجال لتحقيق ذلك إلا بتغييب الإسلاميين المتعمد والمقصود؛ حيث تعمدت جهات بعينها تغييب الإسلاميين، وفي ذلك خسرت ملايين الدولارات ثمناً للعملاء المنفذين من بني جلدتنا؛ مدنيين وعسكريين وأحزاباً، وجميعهم استخدم لإضعاف الإسلاميين وإبعادهم بوسائل كثيرة، منها الانقلابات العسكرية.

ويضيف د. ضوينا أن الثورات المضادة كانت مدخلاً لاحتلال الفكر والإرادة والقرار في بلادنا العربية للأسف، فضلاً عن الافتراء على الإسلاميين باتهامهم بالإرهاب كذريعة لتدخل القوات الدولية، أو قيام العسكري العربي بتصفية الإسلاميين واعتقالهم وتشريدهم؛ بهدف استبدال العلمانية بالإسلام، والخضوع بالكرامة، والهوان بالعزة، والوصاية بالسيادة، والانكسار بالهيبة، ونهب الثروات بالوطنية؛ فيحدث انحلال المجتمع وتذوب أخلاقه وتذهب ثرواته ويتم إعادة احتلاله فكرياً وسياسياً ويخلو الوطن العربي للأعداء، وهذا لا يمكن أن يتحقق في ظل وجود المد الإسلامي المتدفق، فكان لا بد من إزالة العظماء ليحيا وكلاء الاستعمار الجديد.

د. محمد ضوينا — معاذ عبدالكريم

ومن السويد، يقول **معاذ عبدالكريم**، الناشط السياسي المصري، أحد شباب ثورة 25 يناير: إن الإسلاميين مارسوا أدواراً مختلفة على المستوى الاجتماعي والسياسي والمدني والديني، وبالتأكيد فإن تغييبهم عن المجتمع أمر مقصود ومتعمد، وله أثر سلبي على المجتمع المصري؛ فهم كانوا يقومون بدور اجتماعي وأهلي في كل قرية ومدينة وحي في مصر من خلال نشاطات الجمعيات في دعم الأسر الفقيرة، وتربية النشء والشباب على القيم الإسلامية المصرية، ونبذ كل أشكال الانحراف السلوكي والفكري، وبغيابهم انتشرت المخدرات بين الشباب والسلوكيات المنحرفة وغير المشروعة، واختفت روح التكافل ومساعدة الفقراء، وطغت أخلاقيات الأنانية والفردية والجشع.

ويختم قائلاً: في تقديري، إن بناء الإنسان المتكامل في المجتمع لا يحتاج فقط إلى الدعم المادي أو الاحتياجات الحيوية كالمأكل والمشرب، ولكن يحتاج أيضاً لبناء العقول والتربية؛ ليكون مستعداً لمواجهة التحديات وبناء جيل له هوية إسلامية ورسالة سامية تجاه مجتمعه ونفسه ودينه.■

مصطفى عاشور
كاتب مهتم بالشأن الثقافي

يبدو أن التغييب القسري للإسلاميين عن المشهد في الكثير من البلدان العربية أحدثَ تغيرات وتحولات في بنية التدين؛ فالإسلاميون لم يكونوا فواعل سياسية فقط، لكن كان لهم حضور ذو جذور بعيدة وقوية على الصعيد الاجتماعي والديني، وكذلك في مجال العمل الخيري، وأنتج ذلك أنماطاً من التدين استطاعت أن تفرض نفسها على المجال العام طوال أربعة عقود بلا انقطاع.

تحولات التدين مع تغييب الإسلاميين

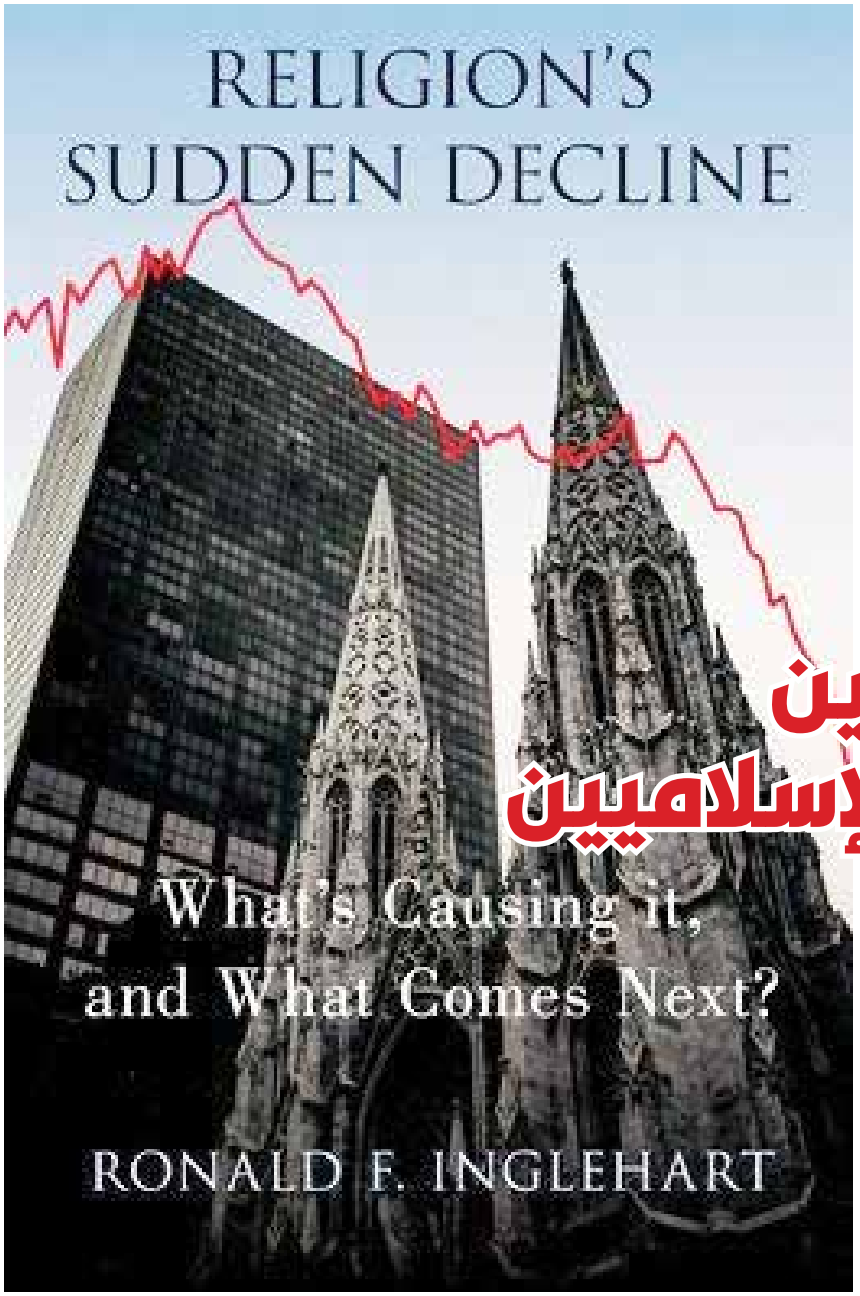

في الحقيقة، ما تزال الحركة الإسلامية حاضرة في عدد من الكتابات والتحليلات الغربية، إذ يرفض هؤلاء التسليم بأنها قد انتهت، وأن الإنهاك الذي تعرضت له سيقود حتماً إلى اختفاء دائم على غرار تجربة الشيوعيين والناصريين، ففي دراسة «مستقبل الإسلاموية من خلال عدسة الماضي» (The Future of Islamism through the Lens of the Past) للبروفيسور «مارك لينش»، أستاذ العلوم السياسية في جامعة جورج واشنطن، التي نشرها مطلع عام 2022م، أكد أن الحركة الإسلامية ربما تعاني من ظروف كارثية، لكنها، حسب قوله، أثبتت تاريخياً أنها مرنة وقادرة على العودة للحياة العامة من جديد، وأنها قادرة على التعافي من انتكاساتها، والانتعاش رغم الظروف المدمرة، لكنه أشار إلى أن عوامل تعافيها الحالية أقل توفراً مقارنة بالفترات السابقة.

أما «ستيفين كوك»، الكاتب المتخصص في قضايا الشرق الأوسط، فأكد في مقاله بمجلة «فورين بوليسي» بعنوان «الإسلاموية جاهزة للعودة» (Islamism Is Ready for a Comeback in the Middle East)، في مارس 2022م، أنه تم تضخيم موت «الإسلام السياسي» في الشرق الأوسط، ولكن نظراً للطريقة التي أصبحت بها جماعة الإخوان المسلمين متداخلة مع المجتمع المصري، فمن المرجح أن تستمر الجماعة في الحضور حتى مع جهود النظام لإعادة صياغة التاريخ بطريقة تجعل الجماعة غائبة عن مصر، إلا أنهم سيتأقلمون ويتطورون.

ولكن كيف يمكن النظر إلى المجتمعات

-خاصة المصري- مع تغييب الإسلاميين خلال العقد الماضي، وهل أثَّر ذلك على حالة التدين، وأحدث تغيرات جوهرية في أنماطه؟

تراجع حالة التدين

هناك تراجع للتدين، وظهور حالة نفور من الدين قد تصل إلى الإلحاد، وهو أمر تسبب في قلق متزايد داخل المؤسسة الدينية الرسمية، ففي كتاب «الانحدار المفاجئ للدين» (Religion's Sudden Decline) لعالم الاجتماع «رونالد إنغلهارت»، الذي قام بدراسة استقصائية لأكثر من 100 دولة، أي 90% من سكان العالم، خلال الفترة بين عامي 1981 – 2020م، أكد وجود انحدار عالمي في التدين، بدرجات متفاوتة، ولم تكن منطقة الشرق الأوسط ببعيدة عنه، فقد لوحظ صعود اللادينيين، رغم أن المنطقة ما تزال أكثر تمسكاً بالدين.

وقد رصد تقرير «الباروميتر العربي»[1] عام 2019م انخفاضاً لمؤشرات التدين في العالم العربي، وارتفاعاً في نسبة غير المتدينين في غالبية منطقة الشرق الأوسط من 8% في عام 2013 إلى 13% في عام 2018م، وهذا التغيير سجل أعلى مستوياته في الفئة العمرية التي تقل أعمارها عن الثلاثين عاماً؛ بل

أكاديمي أمريكي: الحركة الإسلامية أثبتت تاريخياً أنها مرنة وقادرة على العودة للحياة من جديد

«الباروميتر العربي» رصد انخفاضاً لمؤشرات التدين بالعالم العربي وارتفاع نسبة غير المتدينين من 8 إلى 13%

إن 18% يعتبرون أنفسهم غير متدينين.

وترجع دراسة غربية السبب في ذلك إلى أن الإسلاميين كانوا قادرين على توليد قناعات لدى الكثير من فئات المجتمع بالإسلام، خاصة بعدما حظيت رموزهم الدينية بصدى ثقافي واسع في المجتمع، وقد أدى تدهور هذه الميزة إلى تراجع التدين، وكذلك فقد حوى خطاب الكراهية في الإعلام الرسمي ضد الإسلاميين نوعاً من التطاول على الإسلام نفسه، إذ قفزت الرسالة الإعلامية من شيطنة الإسلاميين إلى شيطنة الإسلام، وهذا ما دعم الأفكار الإلحادية، كما أن القمع الذي تعرضت له الحركة الإسلامية أوجد نوعاً من الخوف من التدين، في ظل تراجع الثقة في غالبية المؤسسات الرسمية الدينية.

وفي الحالة المصرية، جرى تأميم غالبية المساجد، وإخضاعها لسيطرة الدولة من خلال وزارة الأوقاف، التي قامت خلال سنوات قليلة بإبعاد الدعاة والوعاظ الإسلاميين، ووضعت يدها على أكثر من 11 ألف مسجد، منها 6 آلاف كانت تشرف عليها الجمعية الشرعية، وتدير الوزارة قرابة 90 ألف مسجد.

ومع تأميم المساجد تم تأميم الخطاب الديني نفسه، من خلال توحيد خطبة الجمعة، بحيث لا تخرج عن اهتمام السلطة وتوجهاتها، كما صدر قانون تنظيم ممارسة الخطابة عام 2014م، الذي أحكم سيطرته على الخطاب الديني، ونص على العقوبة بالسجن والغرامة لمن يمارس الخطابة أو التدريس الديني في المساجد بدون ترخيص، فأتاح هذا القانون للوزارة حظر 12 ألفاً من الدعاة الذين لم يحصلوا على تعليم ديني في الأزهر من الخطابة في المساجد، ومن ثم أغلق منافذ ورثات كثيرة كان يتنفس فيها التدين الشبابي من خلال دعاة يجيدون مخاطبتهم، وتسربت هذه الفئات إلى عدة طرق لتنفس بها عن حاجتها للتدين.

التدين الانسحابي

سيطرت فكرة التدين الفردي والانسحابي على الكثير من الفئات خاصة الشبابية، وذلك حفاظاً على ذواتهم من مخاطر التدين المتفاعل مع الحياة، إذ تحولت التقوى الذاتية المنعزلة إلى منطقة آمنة توفر الطمأنينة للحفاظ على الذات، وهو ما أنتج تديناً انسحابياً، متعايشاً مع المتناقضات، دون أن يخطو نحو تغييرها، وهو تدين لا يمتلك مشروعاً إصلاحياً، وسمح ذلك بظهور تدين شكلاني يهتم بالشعائر ويتناسى الحقوق الاجتماعية، ويتصالح مع كثير من الانحرافات والانتهاكات ويبررها،

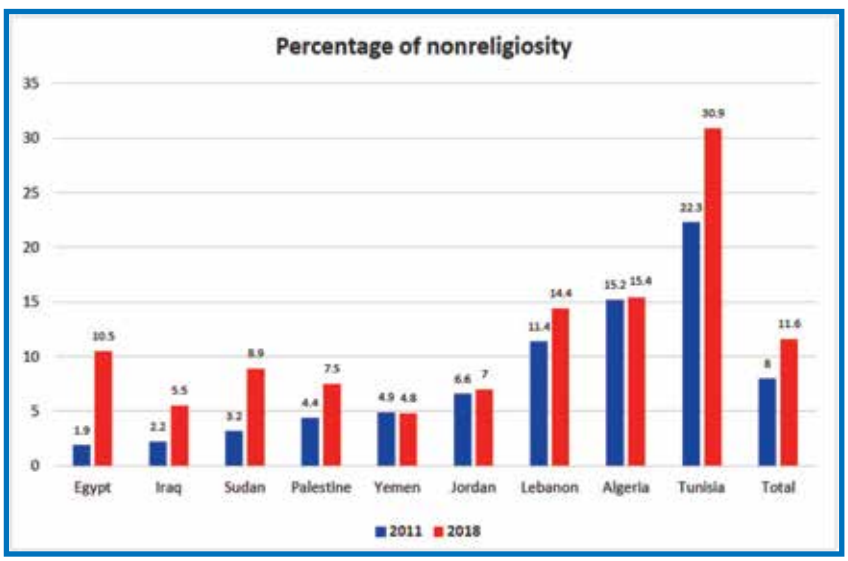

ويعمق مفهوم الانفصال بين حقوق الله وحقوق العباد، ودعم هذا التوجه قدرة الشباب على توفير قدر من الإشباع الديني من خلال الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وباتوا أكثر انجذاباً للدعاة خارج النطاق العربي.

في حين بات التصوف أكثر جذباً للشباب، خاصة بعدما تسامحت السلطة مع الحضور الصوفي في المشهد العام؛ فرعَتْ احتفالاتها (الصوفية)، وموالدها، وتغاضت عن صناديق نذورها التي وصلت إلى صناديق في 200 مسجد، وزادت حصيلتها عام 2021م عن 30 مليون جنيه، فكان الهوى للصوفية بديلاً آخر آمناً للتدين، ولم يتورع الصوفية عن بث احتفالاتهم من المساجد وما صاحبها من إدخال للآلات الموسيقية، ومن الممكن القول: إن الصوفية بطرقها الـ77 أصبحت مكاناً للهروب لممارسة التدين، وليست نوعاً من الاختيار لدى قطاعات كثيرة من الشباب خاصة في الطبقة الوسطى، وأصبح لدعاتهم شهرة واسعة.

الإلحاد

كان الإلحاد مساراً كشف عن غياب الحركة الإسلامية، إذ تنامت الاتجاهات الإلحادية، وانعكس الإلحاد في مجال العلاقات الاجتماعية، خاصة الزواج، فشهدت المحاكم المصرية آلافاً من حالات طلب الخلع على خلفية اتهامات بالإلحاد، فأظهرت إحصائية لمحكمة الأسرة المصرية أن عدد دعاوى الطلاق التي تلقتها خلال عام 2015م بسبب إلحاد الزوج أو تغيير عقيدته بلغت أكثر من 6500 قضية، كما أن قضايا الطلاق أو الخلع بسبب إلحاد الزوج شهدت ارتفاعاً بنسبة 30% بنهاية عام 2016م، وهذه القضايا لم تكن واسعة الانتشار في محكمة الأسرة منذ 5 سنوات، كما زعمت دراسة أمريكية أن عدد الملحدين في مصر 3% من عدد السكان.

وأدى تنامي الإلحاد إلى شعور المؤسسة الدينية الرسمية بالفزع، فتحركت للقيام بدور دفاعي، متمثلة في الأزهر، الذي أنشأ وحدة «بيان» لمواجهة الإلحاد، وفي نوفمبر 2021م ظهر وعاظ الأزهر في قوافل دعوية في غالبية المحافظات على مستوى الجمهورية، وتوجهوا إلى المقاهي لمخاطبة الشباب لمواجهة الإلحاد، والأفكار التي تدعوهم إلى الانتحار، وفي سبتمبر 2022م حذر أسامة الحديدي، مدير مركز الأزهر العالمي للفتوى، من أن عدداً من الأمهات يتصلن بالأزهر ويشتكين من توغل الإلحاد بين أبنائهن، ولم تتوقف دعوات شيخ الأزهر د. أحمد الطيب التحذيرية من الإلحاد، معلناً أنه هو الخطر الداهم، وقال: «للإلحاد الجديد الآن مؤسسات وجمعيات وصناديق، ويتم الآن تشجيع الشباب على مهاجمة الدين».

ويبدو أن تلك الظواهر ستستمر في ظل تغييب الإسلاميين؛ بل ستظهر ضغوط أشد للاعتراف بحق الشواذ في ممارساتهم، أو الاعتراف بالمعايشة بين الرجل والمرأة بدون زواج.■

دراسة غربية: الرسالة الإعلامية قفزت من شيطنة الإسلاميين إلى الإسلام ذاته ما دعم الأفكار الإلحادية

عدد دعاوى الطلاق بمصر بسبب إلحاد الزوج أو تغيير عقيدته نحو 6500 قضية

الهامش

(1) مؤسسة بحثية تعنى بالاتجاهات والقيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمواطنين العاديين في العالم العربي.

د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

في فترات ضعف الأمة المسلمة وتسلط أعدائها، أو محاولات الانتقاص من ثوابتها؛ تظهر جهود أفراد وجماعات لرأب الصدع ورد الصائل، والرباط في الثغور المهددة، بدأ ذلك مبكراً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظهور بوادر الاختلاف بل وحالات الردة والامتناع عن فريضة الزكاة، وكان لها رجل الأمة الأقوى وخليفة المسلمين الأول الصديق رضي الله عنه.

وعند اختلال ميزان الخليفة نفسه، وسعي المعتصم العباسي لمخالفة أصول العقيدة، وقف له عالم الأمة الإمام المبجل أحمد بن حنبل، وكانت محنة عظيمة، انتصر فيها الإمام بثباته حتى قيل: إن الله تدارك الإسلام برجلين؛ بأبي بكر في الردة، وأحمد في المحنة.

وبقيت هذه سُنة في هذه الأمة، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحملُ هذا العلمَ من كلِّ خلَفٍ عدولُه، ينفونَ عنهُ تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين».

ومع إعلان سقوط الخلافة العثمانية، لم يكن الأمر تغييراً لنظام الحكم، أو تبديلاً في عالم السياسة، بل كان انقلاباً على شرائع الإسلام ونقضاً لأصوله، وهنا بدأت جهود المصلحين، وظهر الأئمة والمجددون، وهو ما عرف اصطلاحاً بالحركة الإسلامية أو التيار الإسلامي، وهو عبارة عن جهد بشري، واجتهاد قد يحصل صاحبه على

غياب الإسلاميين عن معركتي الحجاب والمخدرات

الأجرين أو يرجع بأجر واحد، وقد تجد من يختلف مع أدائهم السياسي أو دورهم النقابي، لكن ما أحدثوه من ترميم بنية المجتمع الأخلاقية لا ينكره منصف أو محايد، ونظراً لأن ميدان الأخلاق فسيح، ومواطنه متعددة، فسأذكر مثالين بارزين؛ هما: الحجاب، والمخدرات.

أولاً: الحجاب:

معركة الحجاب من أشرس المعارك التي لم يفتر فيها أعداء الإسلام، ويجددون خططهم فيها، ولو أخذنا فرنسا مثالاً نجد أنها جنَّدت كل طاقتها لحرب الحجاب ومظاهر الاحتشام، واختصرت المسألة حينما اعتبرت الحجاب هو الرمز الديني الدال على الإسلام، وأثناء احتلالها للبلاد العربية، كانت أول ما تفرضه من ثقافتها إشاعة العري والتشجيع على السفور، حتى رحلت عن بلادنا وثقافة التنورة القصيرة قد وصلت إلى درجة «ميني جيب» ثم تقلصت إلى «ميكروجيب»، وكان الحجاب في فترة الستينيات في الجامعات المصرية من القليل النادر، حتى ظهرت الدعوة الإسلامية داخل الجامعات على يد الطلاب الإسلاميين، الذين كانت الدعوة لعودة الحجاب في مقدمة أولوياتهم، حتى كتب أحد هؤلاء الشباب الذين قامت على أكتافهم الدعوة في كلية الطب كتاباً بعنوان «عودة الحجاب»، وذلك بعد تفرغه للدعوة والتأليف، وهو من شيوخ الدعاة الآن د. محمد إسماعيل المقدم.

كل هذه المظاهر كانت رجع صدى لسقوط الخلافة، ومحاولات طمس الهوية الإسلامية، بل وأصبح الحجاب مؤشراً على ضعف الدعوة الإسلامية أو تمكنها، ورأينا ذلك في انحسار ظاهرة الحجاب الآن، وتسخير السينما والإعلام لحض الفتيات على خلعه، وتأثرت بذلك طائفة منهن، لا سيما بعد خلو الساحة من دعاة الفضيلة وأصحابها، فهم بين من يرسف في أغلال الاعتقال، أو من غيبته فيافي المنافي، ومن بقي منهم حيل بينه وبين الناس!

ثانياً: المخدرات:

الحركة الإسلامية بدأت على يد الشباب وتوجهت إليهم، وبذلك حصلت ضمانة لهم من الانحراف إلى المخدرات أو الوقوع في براثن الإدمان، بل انتقل الأمر إلى حرمة التدخين، ولا ينكر حملة الحركة الإسلامية على الدخان وتبشيعه إلا جاحد، واشتهر عن الشيخ محمد الغزالي قوله: «إن المدخن قد بدَّل نعمة الله كفراً، حيث وهبه الله لساناً وشفتين فجعلهما مدخنة»! وهذه مرحلة متقدمة في الحرب على المفترات والإدمان بصفة عامة، وكان العرف السائد بين الطلاب، وقتئذ، أن المدخن على أبواب الانحراف، ولا يمكن أن يكون في عداد الطلاب المجدين، ومع تغييب الحركة الإسلامية ومحاولات إقصائها، أصبحت المخدرات من السلع المتداولة، وبعد أن كان الشاب يتوارى بالسيجارة، أصبح يدخن الحشيش أمام المارة، أما تيسير وصولها إلى الشباب وغض الطرف عن تجار المخدرات، فظاهرة لا تخطئها عين المتابع؛ لأن سقوط الشباب في دوامة الإدمان تحول بينهم وبين التفكير والتغيير، ولكن الأيام دُوَل، والدول أيام، وإن كانت الحركة في كبوة، والصحوة في غفوة، فإن الفرج قريب، والعودة محتومة، لأن المستقبل لهذا الدين.■

عن مقولات الفشل السياسي للإسلاميين

لا تخلو بعض المقاربات والأطروحات من ظاهرة «الاستعجال الذّاتي» و«التسطيح المعرفي» و«الأحكام المسبقة»، منها: محاولات التسليم بالمقولات الإطلاقية والأطروحات المتهافتة للفشل السياسي للإسلاميين؛ لاستنجادها بالقراءات المتسرّعة لتداعيات نتائج الانتخابات في العالم العربي، وكأنها عمليات حاسمة، واحتكام فعلي لإرادات الشعوب في انتخابات ديمقراطية ونزيهة، تعبّر حقيقة عن الأحجام الفعلية لهؤلاء الإسلاميين.

ناصر حمدادوش

برلماني جزائري سابق

إنَّ الحضور المتميز للأحزاب الإسلامية كأرقام صعبة في المعادلة السياسية لدولها يشكِّل ظاهرة سياسية مزعجة للقوى الغربية وأدواتها العربية، وهو ما فجَّر نقاشاً فكرياً وسياسياً حول ما سُمِّي بـ«الإسلام السِّياسي»، والترويج لفشله والحديث عن مرحلة ما بعده، كنوع من الاستعجال التقييمي والخلل التفسيري، بالرغم من كونه الضحية الأولى لتزوير الانتخابات والثورات المضادة والانقلابات العسكرية والتدخلات الأجنبية.

إن صندوق الديمقراطية الحقيقية في العالم العربي والإسلامي يتحدَّى فرضية «ما بعد الإسلاموية»، ويسقط «أطروحة ما بعد الإسلام السياسي» عندما يكون هناك احتكام نزيه للديمقراطية الفعلية والمنافسة الشريفة وتكافؤ الفرص وحياد مؤسسات الدولة في إدارة العملية السياسية والانتخابية، وإنَّ تعثُّر بعض التجارب الإسلامية السياسية مرهون بالتقييم الموضوعي الشامل، وعدم اختزاله في العائد الانتخابي والكمي فقط، إذ من الحصائل السلبية للأنظمة العربية حالة العزوف واهتزاز ثقة الشعوب في العملية السياسية والانتخابية التي تُشرف عليها، وهو فشل للأنظمة السياسية قبل أن يكون فشلاً للإسلاميين.

التعثُّر المؤقت لبعض التجارب ليس حُكماً نهائياً بفشلها الكلي، بل إنَّ هذه الإخفاقات الظرفية هي رصيد في تراكمية النجاح الحقيقي في المستقبل، مثلما نطقت بها التجربة التركية، التي تعثَّرت لمدة 70 سنة من الإعدامات والانقلابات والاعتقالات، لكنَّها تُوِّجت الآن بتجربة «أردوغانية» لا تزال ماثلة وصامدة؛ لأنَّ عمر الدول والشعوب أطول من عمر الأفراد والجماعات في التقييم، وإنَّ النجاح أو الفشل مسار لتجربة طويلة غير متوقف على محطة ظرفية عابرة.

لقد تمَّ استهداف علْمَنة الإسلام في العقود الماضية، والتركيز على معاداته وتفريغه من بُعده السياسي والحضاري، ومع ذلك أصبح واقعاً بمختلف تجلياته السياسية والمجتمعية، وإنَّ فشل أي تجربة سياسية للإسلاميين لا تعني بالضرورة فشل الإسلام في حدِّ ذاته، للفرْق بين الدين الإلهي الكامل والتديُّن البشري القاصر.

الانتقال السنني للحركة

ومع الانتقال السُّنني للحركة الإسلامية من مئوية الصحوة إلى مئوية النهضة، عبر مشاركاتها السياسية العامة ومشارفاتها على الحُكم، فإنك تدرك فظاعة الاستعجال وتعميم الحُكم على فشل «الإسلام السياسي» كفِكْر، والتحامل الكبير على التجربة البشرية

للإسلاميين كممارسة، مع وجود تجارب إسلامية ناجحة يتمُّ تجاهلها؛ كالتجربة الإسلامية السياسية في إيران وإندونيسيا وماليزيا وتركيا، رغم أنه لم تُعط الفرصة الكاملة للآخرين، إما بالحصار الدولي لها كما حدَث لـ«حماس» في فلسطين، وإما بالانقلاب العسكري كما حدث للإخوان المسلمين في مصر، وإما بالانقلاب الأبيض كما حدث للنهضة في تونس، وإما بالسقف الملكي لحزب العدالة والتنمية في المغرب.

ومع ذلك، فإن الحركة الإسلامية مطالبة -أيضاً- بتحرير الإسلام من الأطر التنظيمية الحزبية، والتسامي عن «أدلجة الدين وتحزيبه»، والخروج من

حضور الأحزاب الإسلامية المتميز في المعادلة السياسية يشكل إزعاجاً للقوى الغربية وأدواتها العربية

تعثُّر بعض التجارب الإسلامية السياسية مرهون بالتقييم الشامل وعدم اختزاله في العائد الانتخابي

الشعوب ستدفع ضريبة باهظة بسبب تعثر الإسلاميين على مستوى الهوية والسياسة والتنمية

الخطاب الديني التقليدي، والتعفُّف عن مزاعم امتلاك الحقيقة المطلقة واحتكار الصواب الكامل في الاجتهاد السياسي، والانتقال من الشعارات إلى الممارسات عن طريق «أجرأة» علمية للمبادئ العامة والقواعد الكلية والمقاصد الكبرى للشريعة الإسلامية، وهيكلة الشعارات والأفكار والأطروحات في برامج تنموية عملية واقعية، وسد الفجوة بين السلطان والقرآن، والانتهاء من الحالة القلقة بين الحركة الإسلامية والأنظمة الحاكمة، وهو ما يضمن استمرارية المشروع الإسلامي، وامتداده في الزمان والمكان والإنسان.

لقد تجاوز التديُّن الشعبي القدرات التنظيمية للحركة الإسلامية، وانتقلت الصحوة الإسلامية من الظاهرة التنظيمية إلى الظاهرة المجتمعية، وهو ما يجعل أطروحة «ما بعد الإسلام السياسي» تتهاوى أمام امتداد الفكرة الإسلامية شعبياً ورسمياً، عمودياً وأفقياً، وإنَّ استحقاقات المراجعات النقدية، وضرورات التجديد الحرَكي، وحتمية التخصص الوظيفي، وموضوعية التمييز بين السياسي والدعوي، تفرض الاعتراف بأنَّ الإسلام هو حضارة الغد، وأنَّ له قوة ذاتية، وهو ما يؤهِّله للبقاء والاستمرارية مهما تعثَّرت محاولات تمثُّله البشري سياسياً، وإنَّ ما يقع للإسلاميين قد أحدث زلزالاً فكرياً ومفاهيمياً مدوياً، وهو إيذان بدخول الحركة الإسلامية المعاصرة في مرحلة مختلفة، وانتقالها إلى طور جديد، وهي في مخاض لبعث آخر، تنسجم فيه «سُنة التجديد» مع «الحتمية النصية» في الحديث النبوي الشريف: «يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يجدِّد لها أمر دينها».

مسؤولية الأحزاب الإسلامية

وإذا كان هذا الاستعجال في الحكم على الإسلاميين بالفشل السياسي، والتبشير بمرحلة ما بعد «الإسلام السياسي» مجرد أطروحة جدلية عقيمة، فإنه لا تُعفى هذه الأحزاب الإسلامية من مسؤولية مظاهر الإخفاق على المستوى النظري الفكري الجامد، وعلى المستوى العملي في الممارسة السياسية التقليدية، وستدفع الشعوب ضريبة باهظة بسبب هذه التجارب المتعثرة على مستوى الهوية أو على الحكم والسياسة أو على مستوى التنمية والنهضة، وهو ما يفرض حتمية التجديد لجعل المشروع الإسلامي السياسي مشروعاً تجديدياً وجدِّياً، يتجه بالأحزاب ذات المرجعية الإسلامية إلى الاحترافية في العمل السياسي، وذلك بالخروج من «فقه الجماعة» إلى «فقه المجتمع»، ومن «فقه الدعوة» إلى «فقه الدولة»، ومن «الأيديولوجيا» إلى «التكنولوجيا»، ومن «مبدئية الصحوة» إلى «واقعية النهضة»، ومن «الصراع العدمي» مع الآخر إلى «التعاون مع الغير» على الخير

وبغض النظر عن جدلية النجاح والفشل السياسي للإسلاميين، والأسباب الموضوعية والذاتية له، والعوامل الداخلية والخارجية المؤثرة فيه، ومدى نسبية التقييم والتقويم لتجربتهم، فإنه لا يمكن تجاوز هذه الصورة الدراماتيكية التي وصلوا إليها في أغلب الأقطار، وتحديداً العربية منها من الناحية السياسية، خاصة بعد تعثر ثورات «الربيع العربي»، وحالة التراجع لهم فكرياً وتنظيمياً وانتخابياً وسياسياً ومجتمعياً، وهو ما سيلقي بظلاله على الشعوب، ومن ذلك: ضياع أمل التحرر من الأنظمة الاستبدادية الفاسدة والفاشلة، وتضييع فرصة الأنموذج الناجح البديل في تحقيق التنمية والاستقرار، وثمن الرمزية في الانتقال المروّع من النموذج المثالي للإسلاميين إلى الصورة الواقعية عنهم، والهوة الكبيرة بين التجربة الدعوية والممارسة السياسية لهم، والصدمة العنيفة للانتقال الديمقراطي واستحقاق الحرية معهم، والفجوة الخطيرة بين تديُّن الهوية والعبادات وتديُّن القيم والمعاملات فيهم، والالتباس الغامض بين الصورة المثالية عن الإسلام والتجربة البشرية عنهم، وهو ما سيؤخِّر المشروع السياسي الإسلامي الحامل لوعود الاستئناف الحضاري للأمة من جديد.■

الإسلاميون واختبار الديمقراطية..
أجوبة متنوعة ومتناقضة أحياناً!

ظل الإسلاميون في عالمنا العربي والإسلامي في غالبهم محرومين من ممارسة العمل السياسي والتنافس على السلطة، كانت النظرة من المتحكمين في المشهد السياسي سلبية تجاه الإسلاميين؛ مرة يتهمونهم بأنهم مجموعة من الدراويش السذج، وأخرى بأنهم لا يحملون برنامجاً عملياً، ويكتفون بشعارات كبرى بدون تفاصيل، مثل شعار «الإسلام هو الحل»، وثالثة بعدم الوطنية والارتباط بمراكز نفوذ خارج الأوطان، ورابعة بأنهم أعداء للديمقراطية، وأنهم سيستغلونها فقط كمعبر أو سلم إلى الحكم لمرة واحدة وإلى الأبد ثم يحرمون غيرهم من الوصول إلى السلطة.. إلخ من الاتهامات التي ظلت ترددها الأنظمة الاستبدادية خلال العقود الماضية، ولكن الأهم منها جميعاً هو استخدام تلك النظم لأدوات القمع الأمني والتشريعات القمعية لمنع مشاركة الإسلاميين في العملية السياسية.

لكن الأبواب فتحت على مصاريعها أمام الإسلاميين عقب ثورات «الربيع العربي»، والحقيقة أن الإسلاميين أنفسهم كانوا في طليعة القوى التي أشعلت شرارة ذلك الربيع، التي حافظت عليه لبعض الوقت، ولأنها كانت القوى الأكثر حضوراً وتنظيماً فقد كان من الطبيعي أن تحتل موقع الصدارة عبر الاستحقاقات الديمقراطية النزيهة، فهل نجح الإسلاميون في اختبار الديمقراطيات الوليدة في المنطقة؟

قطب العربي
كاتب صحفي – الأمين العام المساعد السابق للمجلس الأعلى للصحافة بمصر

كانت البدايات الأولى للإسلاميين للاشتباك مع العمل العام والممارسات الديمقراطية من خلال العمل الطلابي، ومن بعده العمل النقابي وتحديداً النقابات المهنية، وقد أبلوا في ذلك بلاء حسناً من خلال قدراتهم التنظيمية وتفعيل تلك الاتحادات والنقابات، وتقديم خدمات ملموسة لجمهور الناخبين، وقد تمكنوا بتلك القدرات من الفوز على التيارات اليسارية والليبرالية، وتلك المرتبطة بالأنظمة الحاكمة في فترة السبعينيات وحتى التسعينيات.

الإسلاميون تعرضوا للقمع وحُرموا من ممارسة العمل السياسي لعقود

وقد أسهمت تلك النجاحات في صناعة رموز عامة خاضت الانتخابات النيابية لاحقاً وحققت فيها نتائج جيدة، حدث ذلك في مصر والأردن واليمن والكويت والسودان والجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا وفلسطين المحتلة، وحدث في باكستان وماليزيا وإندونيسيا وتركيا.. إلخ.

قبل «الربيع العربي» بسنوات طويلة، شارك إسلاميون في الحكم في بعض البلدان العربية والإسلامية بدرجات متفاوتة، لكنهم تعرضوا للانقلابات السريعة عليهم، ونذكر هنا مشاركة «إخوان» سورية في الحكم مبكراً بوزيرين أواخر الخمسينيات، وكذا مشاركة حزب «الإصلاح» اليمني في الحكم عقب الوحدة مطلع التسعينيات، وفي تركيا منذ مطلع السبعينيات حيث تولى «نجم الدين أربكان»، رئيس حزب «السلامة»، منصب نائب رئيس الوزراء، وكل تلك المشاركات تمت بالتوافق مع القوى السياسية المهيمنة في تلك الدول.

الاختبار الحقيقي

وقبل «الربيع العربي» أيضاً، تعرضت الديمقراطية نفسها لاختبار حقيقي في عدة بلدان، كان الإسلاميون هم المجني عليهم فيها، كما حدث في الانقلاب على «جبهة الإنقاذ» الفائزة في الانتخابات البرلمانية الجزائرية مطلع العام 1992م، وانقلاب عسكر تركيا على حكومة «نجم الدين أربكان» في العام 1997م، وعدم اعتراف المجتمع الدولي بفوز «حماس» في الانتخابات البرلمانية وتشكيلها للحكومة الفلسطينية عام 2006م.

وفي المقابل، فرض الإسلاميون حكمهم على السودان عبر الانقلاب العسكري الذي قاده ضباط منهم، في يونيو 1989م، وهو الحكم الذي استمر 30 عاماً انتهت بتحرك شعبي في ديسمبر 2018م، كما تسلمت حركة «طالبان» الحكم بعد معارك عسكرية خاضتها ضد الفصائل الأفغانية بعد الانسحاب السوفييتي، وعادت مجدداً إلى الحكم عبر نضال عسكري ضد القوات الأجنبية المحتلة لأفغانستان تبعه تفاوض سياسي انتهى بالانسحاب الأمريكي، في أغسطس 2021م.

الاختبار الحقيقي لمدى التزام الإسلاميين أنفسهم بالديمقراطية جاء عقب ثورات «الربيع العربي» التي حملت أحزابهم إلى السلطة سواء منفردة أو بالتشارك مع آخرين، كما حدث في تونس ومصر واليمن والمغرب، وقبل ذلك في تركيا منذ العام 2002م، وقد ظلت هذه التجربة الأخيرة (تركيا) هي النموذج الأكثر نجاحاً في الاختبار الديمقراطي حتى الآن، ويعود ذلك إلى تطور المجتمع التركي نفسه، ونبذه للحكم العسكري الذي جسم على أنفاسه طويلاً، وكذا تطور رؤى وسياسات الإسلاميين الأتراك ممثلين في حزب «العدالة والتنمية» الذي نجح في تقديم نموذج لحزب محافظ، وفي الوقت نفسه قادر على تحقيق معدلات تنمية شعر

الأبواب فتحت على مصاريعها أمامهم عقب ثورات «الربيع العربي»

نجحوا في اختبار الديمقراطية بعدد من الدول وتركوا الحكم عقب خسارتهم للانتخابات

مشاركتهم السياسية أحدثت زخماً كبيراً وهم الوحيدون القادرون على مواجهة أحزاب الحكم

بها الجميع، مستغلاً الرغبة الجارفة للأتراك باللحاق بقطار الاتحاد الأوروبي الذي طلب بدوره تحقيق بعض المعايير الديمقراطية لقبول عضوية تركيا، وهو ما تلقفه «العدالة والتنمية» للتخلص من هيمنة العسكر.

تباين تعامل القوى الإسلامية الأخرى مع الممارسة الديمقراطية، فبينما ظلت حركة «طالبان» بعيدة جداً عن هذه الممارسة التي لم تصل إلى السلطة من خلالها، في تجربتيها الأولى والثانية، فإن القوى الإسلامية في بلدان «الربيع العربي» حاولت تقديم نموذج ديمقراطي، وقد نجحت في ذلك بنسب متفاوتة، كان النموذج الأكثر تطوراً في تونس حيث قبلت حركة «النهضة» المشاركة مع قوى أخرى في الحكم رغم حصولها على أغلبية برلمانية تمكنها من الحكم المنفرد، وقد سمح ذلك باستمرار التجربة الديمقراطية الوليدة لمدة 10 سنوات قبل انقلاب الرئيس قيس سعيد عليها في 25 يوليو 2021م.

كما أن تجربة الإسلاميين في المغرب المتأثرة بـ«الربيع العربي» نجحت في الحكم لمدة 10 سنوات قبل إطاحتهم عبر الانتخابات، التي خسروا فيها غالبية مقاعدهم البرلمانية السابقة، ولهذه الخسارة أسباب موضوعية تتعلق بممارسات حكومة حزب «العدالة والتنمية» المغربي نفسه، التي أغضبت قطاعات شعبية واسعة صوتت ضدهم في الانتخابات، لكن في كل الأحوال، فإن الحزب لم يتنكر للديمقراطية بعد خسارته، بل اعترف بتلك الخسارة ووعد بالعمل على تحسين نتائجه مستقبلاً.

الاختبار الأصعب

في مصر كان الاختبار صعباً، حيث فاز «الإخوان» بأكثرية مواقع الغرفة الأولى للبرلمان (مجلس الشعب) وبأغلبية مع حلفائهم الإسلاميين في الغرفة الثانية (مجلس الشورى)، كما فاز مرشحهم لرئاسة الجمهورية الرئيس الشهيد محمد مرسي، وشارك عدد من رموزهم في الحكومة، وفي إدارة بعض المحافظات، لكنهم تعرضوا لعملية إفشال واسعة النطاق منذ اللحظات الأولى، ولم تسعفهم خبراتهم السياسية المتواضعة في مواجهة تلك العمليات التي كانت تحتاج إلى صناعة توافق وطني حقيقي وليس ديكورياً، لا يعتمد فقط على نتائج الانتخابات بل على صناعة تحالفات حقيقية تُشعر الشركاء بالمشاركة الحقيقية.

مشاركة القوى الإسلامية في العملية السياسية سواء قبل «الربيع العربي» أو بعده هي التي كانت تُحدث زخماً كبيراً، وهي التي كانت قادرة على مواجهة أحزاب الحكم التقليدية، وعلى تطوير الحياة السياسية، ومع غياب أو تغييب الإسلاميين بالانقلابات والملاحقات، والثورات المضادة؛ عاد الركود والانسداد السياسي مجدداً، وانفردت قوى الاستبداد بالحكم مجدداً، ولم تسمح حتى للقوى العلمانية الخصم التقليدي للإسلاميين بمشاركة حقيقية.■

عبدالحافظ الصاوي
خبير اقتصادي

التداعيات الاقتصادية السلبية لاضطهاد الإسلاميين

مرت الحركة الإسلامية في العديد من الدول بعمليات اضطهاد منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين، وكانت أحد أهم جوانب هذا الاضطهاد من قبل الحكومات المتعاقبة مصادرة الأموال، وتعطيل الكوادر البشرية المتميزة عن العطاء للمجتمع، ومصادرة الأعمال الخيرية.

إلا أن ما شهدته الحركة الإسلامية، بعد الانقلابات على ثورات «الربيع العربي»، فاق الممارسات السابقة؛ لكون الإسلاميين هذه المرة أكثر عدداً، وأكثر قوة من حيث المقومات الاقتصادية، ولم تقتصر مظاهر هذه القوة الاقتصادية على ممتلكات الأشخاص، بل امتدت لثروة المجتمع الأهلي، المتمثل في الجمعيات الخيرية.

الدول التي أقصت الإسلاميين لم تحقق نجاحاً اقتصادياً إنتاجياً أو خدمياً

تغييب الإسلاميين نتج عنه انتشار الاقتصاد الأسود في المخدرات والدعارة والسلاح والأعضاء والهجرة غير الشرعية

في الوقت الذي ينظر فيه إلى الأضرار الواقعة على الإسلاميين في ذواتهم وممتلكاتهم، ينبغي أن يشار إلى أنها أكثر ضرراً على الشعوب؛ لما تعكسه هذه الممارسات من تداعيات سلبية على الاقتصاد القومي لتلك الدول بشكل عام، وهو ما ظهرت ملامحه خلال السنوات التسع الماضية بشكل واضح، عبر العديد من المؤشرات التي نتناولها فيما يلي:

تشويه مناخ الاستثمار:

لا شك أن عدم الاستقرار السياسي والأمني من أهم أسباب تشويه مناخ الاستثمار، الذي يجعل الاستثمارات الأجنبية تنفر من التواجد في مثل هذه البيئات، كما أن الاستثمارات المحلية تشعر بالقلق في ظل غياب دولة القانون، فعمليات الاعتقال أو التحفظ على شركات وأموال الإسلاميين ترسل رسالة سلبية للمستثمرين المحليين، مخافة أن يؤخذوا بالشبهة، إذا كانوا من القريبين من الإسلاميين، خاصة أن ظاهرة التدين تعم المجتمعات العربية والإسلامية.

ومن جهة أخرى، فالممارسات على أرض الواقع تعكس حالة من الضبابية، وبخاصة أن أسهل القرارات التي تتخذ من قبل الحكومات الدكتاتورية هي التحفظ على الأموال، وحرمان أصحابها من التصرف فيها، بل وإسناد إدارة الشركات والمؤسسات المملوكة للإسلاميين إلى غير متخصصين؛ فيعملون على إهدار أموالها، ووصولها لحالات من الخسارة أو الإفلاس.

لذلك، لا نجد أياً من الدول التي تم فيها إقصاء الإسلاميين واضطهادهم أن حققت حالة نجاح اقتصادي، سواء على الصعيد الإنتاجي أو الخدمي، بل شهدت تراكماً للمديونيات، وزيادة تبعيتها الاقتصادية للخارج، وزادت فيها معدلات الفقر والبطالة (مصر، وتونس، واليمن.. نماذج).

زيادة معدلات الهجرة للخارج:

حالة السطوة الأمنية التي مارستها

النظم المختلفة بشكل واضح في منطقة الشرق الأوسط ألجأت العديد من الكفاءات العلمية وأصحاب رؤوس الأموال إلى الهجرة للخارج بشكل كبير، ويدلل على ذلك بيانات النزوح والهجرة؛ فقد شهدت المنطقة أكبر عمليات هجرة للخارج في تاريخها، من كافة البلدان، خاصة تلك التي شهدت عمليات مسلحة.

فحسب تقرير «حالة الهجرة الدولية في المنطقة العربية لعام 2021» الصادر عن إحدى مؤسسات المنظمة الدولية للهجرة، فإن عدد اللاجئين القادمين من الدول العربية يمثل 43% من إجمالي اللاجئين المشمولين برعاية ولاية مفوضية اللاجئين، حيث بلغ عددهم 8.9 ملايين لاجئ من إجمالي 20.7 مليون لاجئ على مستوى العالم.

واتسمت الهجرة النظامية هذه المرة باستيعابها للكوادر المهنية المتميزة من أطباء ومهندسين وكافة التخصصات، وكذلك أصحاب الخبرات من الدراسات الإنسانية (وبخاصة من الإسلاميين)، ولعل ما تعانيه المستشفيات العامة في دولة مثل مصر مثلاً، من نقص عدد الأطباء وأطقم التمريض، بسبب الهجرة للخارج، خير دليل، وكذلك باقي الدول التي تعاني نقص المدرسين، والمهندسين، وكافة المهنيين الذين يقدمون خدماتهم للمجتمعات بشكل يومي.

تضرر الفقراء بسبب مصادرة الجمعيات الخيرية:

عني الإسلاميون منذ فترة طويلة بالعمل الخيري، وحوّلوه إلى عمل مؤسسي في مجالات الرعاية الطبية، ورعاية الأسر الفقيرة؛ بتقديم المساعدات، وتوفير مراكز التدريب والتأهيل، وتقديم الخدمات التعليمية لأبناء تلك الأسر، إلا أن النظم المنقلبة على ثورات «الربيع العربي» اتجهت

الفقراء تضرروا بسبب توقف تبرعات الجمعيات الخيرية بعد غياب مشرفيها الإسلاميين

لاجئو الدول العربية يمثلون 43% من لاجئي العالم أجمع

للسيطرة على تلك الجمعيات وغيَّرت مجالس إداراتها، وسيطرت على ما لديها من موارد، وسلمتها لأبناء المؤسسات العسكرية والأمنية المتقاعدين لإدارتها.

وهو الأمر الذي أضر بتلك الجمعيات؛ لعدم وجود سابق خبرة بهذا العمل للإدارات الجديدة من قدامى العسكريين.

ومن جهة أخرى، فقدت هذه الجمعيات الثقة لدى المتبرعين، فحُرمت هذه الجمعيات من تدفق التبرعات؛ لغياب المشرفين عليها من الإسلاميين، الذين يثق فيهم الناس، وكان المتضرر الأكبر هم الفقراء الذين غابت عنهم الحماية الاجتماعية التي كانت تقدمها تلك الجمعيات.

والجدير بالذكر أن الجمعيات الخيرية التي كان يشرف عليها الإسلاميون في كافة دول المنطقة، كانت تستفيد من التبرعات من الخارج، سواء من دول عربية، أو من أبناء الجاليات الإسلامية في العديد من دول العالم، وقد حرمت هذه الجمعيات هذه الروافد المهمة.

تبديد الثروات البشرية:

من أهم ما تملكه الشعوب ثروتها البشرية، فالإنسان أساس التنمية، فهو صانعها والمستفيد منها، ولذلك تهتم الدول المتقدمة بشكل كبير بالاستثمار في أبنائها عبر خدمتي التعليم والرعاية الصحية الجيدة، إلا أن من أهم ما خسرته شعوب منطقة الشرق الأوسط، أن تم اعتقال وسجن الآلاف من أبناء الحركة الإسلامية.

حيث تضم السجون والمعتقلات بين جنباتها إسلاميين من كافة التخصصات العلمية والمهنية؛ من طلاب جامعات، بل وأساتذة جامعات وعمداء كليات، ومتخصصين أكفاء في مختلف التخصصات المهنية التي تتطلبها عملية التنمية، ولكن للأسف الشديد يُلقى بهم في غياهب السجون، دون سند من قانون، بل يعذَّبون، وتَصدر ضدهم أحكام ظالمة بمدد طويلة، تقضي على ما تبقى من أعمارهم بين جدران الزنازين.

انتشار الاقتصاد الأسود:

في ظل غياب الإسلاميين تم الترويج لقيم سلبية، ومحاولة الترسيخ لأخلاقيات التسيب والفوضى، والترويج لثقافة الاستهانة بانتهاك الحرمات، وممارسة كافة الممارسات الاقتصادية المخالفة للقانون، ومن هنا تضررت الشعوب في دول المنطقة؛ حيث راجت تجارة وتعاطي المخدرات، وتحولت المدارس إلى بؤر لممارسة العديد من السلوكيات التي تخالف العادات والتقاليد.

وبلا شك أن انتشار الاقتصاد الأسود (تجارة المخدرات، والدعارة، وتجارة السلاح، وتجارة الأعضاء، والهجرة غير الشرعية) من أهم ما يُشيع حالة عدم الأمان بين الشعوب، ويبدد دخول الأفراد والعائلات؛ من أجل الحفاظ على أنفسهم.

لذلك، يرغب الكثيرون في الهجرة لمجتمعات آمنة، أو يتمنون عودة الديمقراطية ودولة القانون، بما يسمح للإسلاميين بعودة أنشطتهم، وممارسة دورهم الدعوي الذي كان صمام أمن وأمان للمجتمعات.■

انتشار اليأس والقنوط والإحباط والتشاؤم من أهم الأخطار التي أصبحت تهدد البشرية كلها، التي تحتاج إلى فكر جديد لمواجهتها، وإنقاذ العالم، كما أن القيادات التي تشتد حاجة شعوب العالم إليها هي التي تمتلك رؤية لصناعة الأمل، وتكتشف أضواءه في ظلام الواقع الكئيب.

وتزداد أهمية القيادة كلما كانت التحديات أكثر خطورة، وكلما عجز الآخرون عن مواجهتها، ومن المؤكد أن كل قيادات العالم تبدو اليوم عاجزة عن مواجهة ذلك التحدي؛ لذلك تزداد حاجة العالم للدور الذي يمكن أن تقوم به الحركة الإسلامية في صناعة الأمل واليقين.

د. سليمان صالح

أستاذ الإعلام - جامعة القاهرة

كيف يمكن بناء المستقبل؟

الحركة الإسلامية وصناعة الأمل واليقين

يعتبر الماوردي أن الأمل الفسيح من أهم الأسس التي يقوم عليها صلاح الدنيا، ويوضح ذلك وعي علماء الإسلام بأهمية الأمل في بناء الدول، وزيادة قوتها، وتحقيق الإنجازات الحضارية، ومن أهمها ما يطلق عليه الماوردي «صلاح الدنيا».

والحركة الإسلامية تمتلك تجربة تاريخية تتميز بالثراء في صناعة الأمل، ويمكن أن تقدم لشعوب العالم النماذج والأمثلة لعملية تغيير الواقع عبر كفاح متصل لتحقيق غايات عليا، يؤمن بها رجال يثقون في أنهم يمتلكون فكراً وعلماً ويقيناً وعزيمة وإرادة لبناء المستقبل.

من أهم نتائج المحنة إدراك الشعوب أن الحركة الإسلامية الأمل الوحيد لقيادة الأمة

ومن أهم تلك النماذج التي توضح للبشرية كلها إمكانات تحقيق الأمل -مهما كانت قسوة الواقع- تجربة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أعد أمته لبناء المستقبل، وتحقيق الإنجازات الحضارية العظيمة بالإيمان والأمل واليقين؛ لذلك صدَّقه أصحابه وهو يبشرهم بفتح فارس والقسطنطينية، بينما كانوا يحفرون الخندق ليمنعوا كفار قريش من دخول المدينة.

لذلك انطلقت هذه النفوس العظيمة التي آمنت وصدَّقت بشرى الرسول صلى الله عليه وسلم لتحرر البشرية من ظلم الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، ولتغيير الواقع المظلم، وبناء أعظم حضارة في التاريخ، ولقد تمكن أصحاب رسول الله من أن ينشروا المعرفة، ويعلموا الناس، ويفتحوا لهم آفاق حياة جديدة تكون فيها آمال الفرد أكبر من مجرد الحصول على مغانم مادية، فتسمو همته، وتتطلع نفسه إلى رضاء الله، وإعمار الأرض، وبناء الحضارة، وإسقاط الطواغيت، وإقامة العدل، وتحقيق الحرية المرتبطة بالإيمان، وبذلك تمكن المسلمون الفاتحون من كسب عقول الناس وقلوبهم.

تحدِّي الاستعمار

لقد واجهت الحركة الإسلامية في القرن العشرين واقعاً أشد ظلاماً وقسوة وكآبة، حين كانت قوى الاستعمار تتحكم في العالم الإسلامي، فحددت هدفها في تحرير الوطن الإسلامي كله من السيطرة الاستعمارية، وكان هذا الهدف صعباً، لكن النفوس التي يضيئها نور الإيمان تطلعت لتحقيقه، وكافحت وضحَّت وتعلمت وعلَّمت وصنعت الأمل.

ولقد أوضحت الحركة الإسلامية العلاقة بين الأمل والغاية، وفي ذلك يقول أ. حسن البنا، يرحمه الله تعالى: «إن الغاية هي التي تدفع إلى الطريق، وتحقيق الآمال، وإن مناصرة المبادئ تحتاج إلى قوة نفسية».

إن الأمة تحتاج إلى الأمل، وإلى تحديد واضح للغايات، وإرادة قوية تدفع الإنسان إلى التضحية من أجل المبدأ الذي يؤمن به.

إن صناعة الأمل ترتبط بعملية إعداد النفوس لكفاح طويل المدى، وفي ذلك يقول البنا: «إن الأمة التي تحيط بها ظروف كظروفنا، وتنهض لمهمة كمهمتنا؛ عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف، وصراع شديد بين الحق والباطل، وليس للأمة عدة في هذه السبيل الموحشة إلا النفس المؤمنة، والعزيمة القوية الصادقة، والسخاء والتضحيات والإقدام عند الملمات، وبغير ذلك تغلب على أمرها، ويكون الفشل حليف أبنائها».

لذلك تحتاج صناعة الأمل إلى يقظة ووعي ومعرفة؛ فعندما يملأ الإيمان النفوس تنتفض الشعوب لتغير الواقع، وتحقق إنجازات حضارية، يقول البنا: «نحن نريد يقظة الروح، وحياة القلوب، وصحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر»، وبذلك أعد البنا الآلاف من الشباب الذين تطلعوا إلى إجبار الإنجليز على الجلاء، وتمكنوا من أن يوضحوا للإنجليز أن استمرار احتلالهم

تمتلك تجربة تاريخية تتميز بالثراء في صناعة الأمل والتغيير

عندما يملأ الإيمان النفوس تنتفض الشعوب لتغيّر الواقع

رغم المحن التي تعرضت لها الحركة الإسلامية ظلت قادرة على صناعة الأمل

لمصر مستحيل، وأن عليهم أن يرحلوا.

تلك كانت رسالة المجاهدين الإسلاميين الذين قادهم الشيخ محمد فرغلي للقيام بالكثير من الأعمال الفدائية في القناة، ومن الواضح أن الإنجليز فهموا الدرس، واستوعبوا الرسالة، وكانوا ينتظرون الفرصة للجلاء.

وبالرغم من كل المحن والخطوب التي تعرضت لها الحركة الإسلامية؛ فإنها ظلت قادرة على أن تصنع الأمل، وتقدم للبشرية دروساً في أهمية المبادئ والتضحية من أجلها، وقدرة الشعوب على تحقيق الانتصارات والإنجازات الحضارية.

أمل جديد

التحدي الذي تواجهه الحركة الإسلامية الآن -ويمكن أن تبرهن قدرتها على مواجهته على شرعية قيادتها للأمة- هو حالة اليأس التي جعلت الناس تكره حياتها، وتتمنى الموت بسبب المحن والظلم والفقر والاستبداد والطغيان الناتج عن استخدام القوة الغاشمة في بعض البلدان.

إن من أهم أسباب انتشار تلك الحالة هو ما تعرضت له الحركة الإسلامية من ضربات قاسية، فعندما تم تغييب القادة في السجون لم يعد أمام الناس من يضيء نفوسهم بنور اليقين والأمل.

ربما تكون خسارة العالم نتيجة الظلم الذي تعرضت له الحركة الإسلامية أكبر بكثير مما يمكن أن يصل إليه خيال مخرجي الأفلام السينمائية؛ فتزايَد اليأس في نفوس الناس، وارتبط بالحزن والتعاسة والانتحار والطلاق والعنوسة.

لذلك، فإن أعظم إنجاز يمكن أن تقدمه الحركة الإسلامية للعالم هو إنقاذ البشرية من حالة اليأس والإحباط بصناعة الأمل واليقين، لكن هل تستطيع الحركة الإسلامية أن تحقق هذا الهدف؟!

من المؤكد أنها تستطيع، ولكنها تحتاج إلى بناء رؤية جديدة تبدأ بتحديد أهداف عظيمة من أهمها تحقيق الاستقلال الشامل، وإعادة الأمة إلى هويتها، ونشر المعرفة الإسلامية، وبناء اقتصاد المعرفة.

إن الحركة الإسلامية تستطيع أن تصنع الأمل عندما تقدم مشروعها الحضاري الإسلامي، وتعد قياداتها، وتستثمر تجربتها التاريخية، وثروتها البشرية.

وهناك الكثير من المؤشرات على أن الشعوب أصبحت تشتاق إلى دور الحركة الإسلامية في إنقاذها من الفقر والاستبداد والسيطرة الاستعمارية، كما تشتد حاجة الشعوب إلى رؤية وجوه الدعاة الإسلاميين المضيئة، وإلى رسائلهم التي تشحذ الهمم، وتملأ النفوس قوة وإيماناً ويقيناً في نصر الله.

ولعل من أهم نتائج المحنة القاسية أن الشعوب أصبحت الآن تدرك أن الحركة الإسلامية هي الأمل الوحيد في قيادة الأمة لتغيير الواقع وبناء القوة وتحقيق الانتصارات والإنجازات الحضارية.

وهذا من أهم الأضواء الكاشفة التي يمكن أن تساهم في بناء المستقبل.■

الحرية والإعلام الإسلامي.. علاقة تبادلية

عادل الأنصاري
صحفي متخصص في الحركات الإسلامية

يرتبط الإعلام الإسلامي بحرية الشعوب، انتشاراً وانحساراً قوة وضعفاً بل وجوداً وعدماً؛ فهو وثيق الصلة قريب العلاقة مع الحرية، يتمدد عندما تظهر بوادرها وتزداد وتيرتها، وينكمش ويتراجع أثره عندما تتراجع أو يخفت وجودها.

واستقراء الواقع والتاريخ يضع بين أيدينا كثيراً من التجارب والحقائق بما يدفعنا إلى القول: إن هذا الارتباط يرقى إلى كونه ارتباطاً تبادلياً ومصيرياً؛ حيث يسعى الإعلام الإسلامي لصناعة الحرية وتوسيع هامشها وتبشير الشعوب بها، وفي الوقت ذاته ينمو الإعلام الإسلامي ويتزايد أثره في ظل مناخ الحرية، وهو بذلك يشارك في صناعة الحرية ويكون -أيضاً- نتاجاً لها سواء بسواء.

والشواهد في التاريخ الحديث والمعاصر حول هذه العلاقة الأصيلة مطردة متزايدة، تصل إلى حد التواتر وتبلغ مكانة الحقيقة المجردة، بل وتملك من الدلائل ما يؤكدها ويدفع لتصديقها وتوليد قناعة راسخة بها.

الإعلام الإسلامي ينمو في ظل مناخ الحرية حيث يشارك في صناعتها ويكون نتاجاً لها

مع البدايات المبكرة للإعلام الإسلامي في أوائل القرن العشرين، حيث كان هامش الحريات العامة والسياسية واسعاً بفعل تأثيرات كثيرة ومتعددة، شهد الإعلام الإسلامي صعوداً ملموساً وانتشاراً واسعاً؛ فقد تواكبت نشأة الصحافة في بواكيرها ونشأتها الأولى مع مرحلة الحراك الإسلامي باتجاه توحيد الشعوب الإسلامية والسعي الحثيث لتحريرها من المشروع الاستعماري وكافة مفاهيم الاستبداد، وهو المشروع الذي قاده -حينها- عدد من رواد الإعلام الإسلامي، وفي مقدمتهم السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا.

واستمرت هذه الحركة باتجاه مشروع تحرير الشعوب الإسلامية كفكرة حققت نجاحات جيدة على مستوى النخبة -متذرعة بالدور الإعلامي الرائد- إلى أن تأسست في العام 1928م جماعة الإخوان المسلمين -كبرى الحركات الإسلامية- على يد الشيخ حسن البنا، لتنقل الفكرة من النخبة إلى الشعوب بكافة أطيافها ومكوناتها، من خلال حراك إعلامي واسع النطاق متزامناً مع إنشاء «تنظيم» محكم استهدف حماية الفكرة وسعى لنشرها على المستوى الشعبي؛ الأمر الذي أهّل المشروع لأن يخطو خطوات هائلة، وينطلق من المحيط المصري سريعاً إلى المحيط العربي والإسلامي والعالمي.

وقد ساعد مناخ الحريات العامة السائد حينها في الانطلاقة الإعلامية لجماعة الإخوان المسلمين؛ حيث أسست الجماعة وشاركت في عدد كبير من الصحف والمنابر الإعلامية التي تعبر عن فكرتها الإسلامية ومشروعها الحضاري؛ حيث شاركت في بواكير أيامها بالإسماعيلية بالنشر في مجلة «الفتح» التي أصدرها محب الدين الخطيب، و«مجلة الشبان المسلمين»، ومجلة «المنار» التي أسسها محمد رشيد رضا.

ثم أسست جماعة الإخوان المسلمين بعد ذلك عدداً من الصحف مثل «جريدة الإخوان المسلمين»، ومجلة «النذير»، واستأجرت مجلات «النضال» و«الشعاع» و«التعارف»، ثم أصدرت جريدتها اليومية «الإخوان المسلمون»، ومجلة «الشهاب» الشهرية.

وشجعت الجماعة أفرادها على امتلاك صحف خاصة؛ فأسس عدد منهم مجلات مثل مجلة «الكشكول الجديد»، ومجلة «منبر الشرق»، ومجلة «المباحث»، ومجلة «الدعوة الإسلامية»، ومجلة «المسلمون» الشهرية، إضافة إلى مئات النشرات الدورية وغير الدورية والمنشورات والمطبوعات وآلاف الخطب والمحاضرات والمؤتمرات التي ساهم فيها البنا بنصيب وافر.

وقد انشغلت كافة أدوات الإعلام الإسلامي في ذلك الوقت بقضية تحرير الشعوب من الاستعمار والاستبداد كبداية أولى ولازمة لبناء المشروع الحضاري الإسلامي الذي يتأسس على تحرير العباد من عبادة العباد ليكونوا مؤهلين لعبادة رب العباد.

كما اهتمت الصحافة الإسلامية في هذه الفترة بقضايا الأمة وتفاعلاتها، مركزة على حرية الشعوب المستضعفة خاصة الإسلامية التي لا تجد من يساند قضاياها العادلة، وفي مقدمتها البوسنة

والهرسك، ومسلمو شرق أفريقيا، ومسلمو الحبشة، وعرب زنجبار، ومسلمو الهند.

كما شكل الاهتمام بالقضية الفلسطينية ركناً رئيساً في الإعلام الإسلامي، سواء في هذه المرحلة التي شهدت بداية تنفيذ مشروع استعماري جديد في المنطقة، أو في المراحل التي جاءت بعدها، لتكون القضية الفلسطينية حجر الزاوية لكافة المنابر الإعلامية الإسلامية.

واستمر الزخم الإعلامي للحركة الإسلامية المعاصرة ساعياً لتحرير الشعوب إلى أن تم مصادرة الحريات في حقبة الخمسينيات والستينيات التي غابت فيها شمس الحرية، وغاب معها الإعلام الإسلامي قسراً، وغاب معها الإعلام الحر المعبر عن الشعوب.

منحنيات ما بعد السبعينيات

مع الانكسار النسبي لموجة الاستبداد ومصادرة الحريات في بداية السبعينيات من القرن العشرين، بدأ الإعلام الإسلامي يسترد عافيته حثيثاً، فعادت مجلة «الدعوة» من جديد، وظهرت معها مجلة «الاعتصام»، ومجلة «المختار الإسلامي»، واتسعت حركة النشر من خلال تأسيس

نشأة الصحافة تواكبت مع مرحلة الحراك الإسلامي باتجاه توحيد الشعوب الإسلامية

الاهتمام بالقضية الفلسطينية شكل ركناً رئيساً في الإعلام الإسلامي لتكون حجر الزاوية لمنابره

عدد من دور النشر، وانطلقت المنابر والخطب والمحاضرات في طول البلاد وعرضها.

إلا أن هامش الحرية تراجع من جديد ليتأثر بذلك الإعلام الإسلامي ويخفت أثره في مطلع الثمانينيات، ثم يسعى في التسعينيات والعشرية الأولى من الألفية الجديدة لإحداث ثغرات محدودة في جدار الاستبداد الذي خيم على البلاد حينها.

وقد أثمرت تلك المحاولات ظهور تجارب استطاع بعضها أن يصنع لنفسه مساحة تواجد؛ فكانت تجربة صحيفة «آفاق عربية»، وصحيفة «الشعب»، بالإضافة إلى عدد من المشاركات في عدد من الإصدارات المتاحة حينها، إلى أن أتاحت التكنولوجيا الحديثة ثغرة جديدة نفذ الإعلام الإسلامي من خلالها بكل قوة، وحفر فيها سبقاً فاق كافة القوى والتيارات الفكرية من خلال تأسيس عشرات المواقع الإلكترونية، حيث صدحت جميعها بحرية الشعوب.

واليوم تخسر الشعوب الإسلامية -بعد تراجع الحرية بفعل الثورات المضادة- كثيراً من روافعها التي تدفع بها إلى محيط الاستقلال الحضاري في سياق جهود جبارة تبذل لحجب الحرية عن الشعوب مع محاولات لحجب الإعلام الإسلامي عن الوجود.

بل إن الواقع يؤكد أن القضية الفلسطينية -التي تمثل حجز الزاوية للأمة الإسلامية وشعوبها- تحظى بزخم إعلامي وشعبي واسع مع استقرار الإعلام الإسلامي وانطلاقه، بينما تتأثر سلباً مع تراجع الإعلام الحر الذي يقع الإعلام الإسلامي في القلب منه.

وستظل حالة التأثير والتأثر المتبادل بين حرية الشعوب وانطلاقها نحو مشروعها الحضاري، والإعلام الإسلامي متسقة باعتبارها علاقة تكوينية تبادلية، حيث يظل الإعلام الحر معبراً عن أشواق الشعوب مرتهناً بإرادتها.■

ماذا افتقدت الأسرة بغياب الإسلاميين؟

ليس من المبالغة في شيء أن نقرر أن الحياة الاجتماعية للمجتمع (وعلى رأسها الأسرة) هي أكثر من تأثر بغياب الإسلاميين، وتعطل الكثير من الأنشطة الدعوية؛ ففي ظل الظروف الاقتصادية المعقدة التي تعيشها الأسر والمجتمعات من ناحية، وفي ظل حالة السيولة التربوية والفكرية النابعة من تشابك إعلام السماوات المفتوحة بما يحمل من قيم وافدة من الشرق والغرب مع التقاليد المحلية التي يعاد إنتاجها بأثواب زاهية، نشأت تلك الثقافات السائلة والمتناقضة التي تضرب في بعضها بعضاً وتعصف بكيان الأسرة بشكل جنوني.

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

ارتفعت معدلات الطلاق في السنوات العشر الأخيرة بطريقة صادمة، ونشأت أفكار غاية في الشذوذ تروج لإنهاء مؤسسة الأسرة، وسادت حالة من التوجس بين الشباب والشابات، أو ما يمكن أن نطلق عليه «الشك الارتيابي» في القيم الأصيلة للزواج، وأصبحت الشبهات لا تجد من يتصدى لها ويفندها، مع عجز الدعاة الرسميين عن مواجهة هذه الزلازل والأعاصير الفكرية.

والحقيقة أن عجز الدعاة الرسميين عن حماية الأسرة المسلمة من تلك الهجمات، وعدم قدرتهم على شرح مفهوم القيم الحقيقية للزواج له أسباب متعددة، منها:

- اتساع ساحة الحياة الاجتماعية مع تنوع الطبقات وتعدد الثقافات واختلاف المراحل العمرية للمخاطبين بالخطاب الدعوي يجعل الحاجة ماسة لعدد أكبر من الدعاة ونوعيات مختلفة منهم الذين يقدمون خطاباً تقليدياً مدرسياً لا يراعي تلك الاختلافات.

- عدم امتلاك الكثير من الدعاة الرسميين طرقاً إبداعية جديدة للدعوة، والاكتفاء بالوعظ والإرشاد التقليدي، وعدم قدرتهم على التعاطي مع الحراك الاجتماعي أو صناعة مؤسسات حيوية لتوجيه الخطاب الدعوي بطرق جذابة غير مباشرة.

لذلك كله، افتقدت الحياة الاجتماعية ذلك الدور بالغ الحيوية والأهمية الذي كان يمارسه كثير من الإسلاميين، وتلك المؤسسات التي كانت تدعم الأسرة بشكل مباشر وغير مباشر، وتركت الساحة شبه خالية لدعاة التخريب الاجتماعي وتفكيك الأسرة، مدعومين بقوة المؤسسات الدولية من جهة، ودعم الحكومات المحلية من جهة أخرى.

الدعاة الرسميون عجزوا عن التصدي للشبهات الفكرية التي تكاد تعصف بكيان الأسرة

الحياة الاجتماعية افتقدت دوراً حيوياً للإسلاميين والمؤسسات الداعمة للأسرة

مرجعية ضبابية

إذا بحثنا عن السبب الحقيقي العميق والرئيس لحالة التفكك الأسري التي تتوج بالطلاق في المجتمعات الإسلامية؛ سنجد أنه غياب مرجعية واضحة يمكن الاحتكام إليها والتماهي مع فلسفتها والبناء التربوي وفقاً لمنطلقاتها؛ فالمجتمع المسلم تتجاذبه عدة مرجعيات متناقضة ومتصارعة تمثل بنى عميقة للعلاقات التي تتشابك وتتعقد وتنتهي لحالة التفكك والانهيار.

فالتيار النسوي الصاخب المدعوم أممياً بمواثيق ملزمة للحكومات المحلية نجح في خلق رأي عام نسائي متعاطف مع ما يطرحه، واستطاع استغلال كافة تناقضات المجتمع في صناعة نظرية متكاملة للتفكيك (نفسياً واجتماعياً واقتصادياً).

بينما التيار التقليدي الذي ينتصر للعادات والتقاليد الجائرة لا يزال يناطح التيار النسوي، وكثيراً ما يرتدي ثياباً دينية مزورة يواري بها عورات الظلم والفساد في مرجعيته، بل يمكننا القول: إن اقتطاع النصوص ولَي أعناقها لتوظيفها في الانتصار لمرجعية أخرى (استغلالاً للمشاعر الدينية العميقة للشعوب) هو إحدى الآليات المتبعة للترويج لهذه المرجعيات المتضاربة، ومع غياب الدعاة وعدم القدرة على الصدع بالحق في كثير من الأحيان صارت الأمور ملتبسة، وصارت حزمة الحقوق والواجبات كما جاء بها التشريع الإسلامي غامضة، والمسألة تتجاوز الطرح الفكري المجرد.

فمع غياب الفعاليات والندوات والمحاضرات والدورات والاستشارات واللقاءات المباشرة باتت الرؤية باهتة في

العقول فاترة على مستوى المشاعر؛ ومن ثم تراجعت في الواقع الحقيقي للحياة تاركة للمرجعيات الأخرى الصراع القاتل.

الفقر والكفر

السبب الأكثر شهرة للارتفاع الجنوني في معدلات الطلاق هو العامل الاقتصادي؛ ففي بلد كمصر، بلغ عدد الفقراء فيها 30% من عدد السكان، بينما يهدد الفقر بأنيابه المخيفة 30% آخرين، حيث تآكلت الطبقة الوسطى بدرجاتها تحت مطرقة المشكلات الاقتصادية المتراكمة وانهيار العملة المحلية يوماً بعد آخر، وبات شبح الأزمة الاقتصادية يسيطر على كافة مناحي الحياة، ومثل ذلك كله ضغطاً نفسياً واجتماعياً هائلاً، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الفقر والكفر، فالفقر والعوز إن لم يكن معه قوة إيمانية هائلة قد يؤدي للكفر؛ أفلاً يؤدي إلى خراب الذمم وفساد الأخلاق وسوء الطباع؟ ألا يتحول الإنسان المسحوق بالفقر المحروم من أساسيات الحياة إلى إنسان بالغ العصبية حاد الطباع غير قادر على الحوار الهادئ، وقد يتجه لممارسة العنف على من هو أضعف منه، وقد يقع في براثن المخدرات حتى يفقد الصلة مع الواقع لأنه غير قادر على التعايش معه؟

ألا يؤدي كل ذلك لخلافات أسرية مشتعلة تنتهي في نهاية المطاف بالطلاق وما يعقبه من صراع لا يقل في سوء أثره على مستقبل الأبناء من الطلاق ذاته؟

التيار التقليدي الذي ينتصر للعادات الجائرة يناطح الآخر «النسوي» مرتدياً ثياباً دينية مزورة

الإسلاميون تميزوا بالتفاعل مع حاجات الشباب الذين لا يتجاوبون مع الوعظ المباشر

كان الإسلاميون يؤدون دوراً عظيماً في شحذ القوى الإيمانية ليستطيع الناس الصبر على هذه الابتلاءات، وكانوا يمارسون دوراً عظيماً في حل الخلافات وتقريب وجهات النظر بين المتنازعين، وكانوا يقومون بدور بالغ الأهمية في تقديم الدعم والخدمات لهؤلاء المسحوقين بالفقر حتى لا تتحطم عظامهم تحت وطأته.

وكان كثير من الأسر الأشد فقراً واحتياجاً يصلها دعم مادي شهري أو بعض أساسيات الحياة من السلع الغذائية الضرورية أو كلا الأمرين، بل إن كثيراً من الأسر التي تنتمي للطبقة المتوسطة (خاصة الطبقة المتوسطة الدنيا) استطاعت العيش بكرامة حقيقية عن طريق تأمين خدمات تعليمية وعلاجية على مستوى عال وبأجر رمزي زهيد.

غياب هذا الدور المحوري في محاربة الفقر ترك فراغاً هائلاً لا يشعر به إلا هذه الطبقات الكادحة المطحونة التي كان يمثل لها ستراً يبقيها في دائرة آمنة ولو على مستوى الحد الأدنى، وبغيابه انكشف هذا الغطاء الآمن الساتر وتجسدت الأزمات الاقتصادية في صورة خلافات اجتماعية وأسرية طاحنة.

صعوبات تربوية

لعل أفضل ما كان يميز بعض الإسلاميين هو قدرتهم على التفاعل والتعاطي مع حاجات الشباب والناشئة الذين لا يتجاوبون مع الوعظ المباشر والنقد الصريح؛ فمن خلال الرحلات والحفلات والمعسكرات والمسابقات والتحديات والأنشطة الفنية والرياضية، بل وحتى الأنشطة الخدمية، كان يتم دمج النصح أو النقد بطريقة سائغة مناسبة لعقول الشباب ومتجاوبة مع طبيعتهم الانفعالية وطاقتهم العالية، لذلك فإن غياب هؤلاء الإسلاميين ترك أثراً فادحاً في هذا الجيل من الشباب.

هذا الفراغ التربوي أجهد الأسرة وأضاف عليها عبئاً إضافياً في التوجيه والتربية، حتى الأسر الأكثر التزاماً وتديناً ووعياً وثقافة وقعت في هذا المأزق التربوي؛ فطاقة الشباب العالية تتجاوز قدرات الأسرة المحدودة في التوجيه، كما أن الأسرة غير قادرة على ممارسة هذه الأنشطة الترفيهية الجماعية التي كانت تقدم للأبناء، أما الأسر الأشد فقراً والمضغوطة بالأزمات الاقتصادية فهي لا تمتلك أي فائض لما قد تعتبره ترفاً.■

د. صالح النعامي
كاتب فلسطيني متخصص في الشأن الصهيوني

لم يحدث في تاريخ الكيان الصهيوني أن حازت قوى اليمين الديني اليهودية المتطرفة على مواطن نفوذ هائلة كما هي الحال في حكومة «بنيامين نتنياهو» التي يعكف على تشكيلها؛ فقوى اليمين الديني اليهودية تبدو عازمة على توظيف انضمامها للحكومة الجديدة في تحقيق هدفها المتمثل في حسم الصراع لصالح الصهاينة، وتقليص قدرة الفلسطينيين على مواصلة المقاومة والبقاء من خلال أدوات متعددة ومتشابكة.

وحازت قوى اليمين الديني على العديد من مراكز النفوذ ذات العلاقة بإدارة الصراع مع الشعب الفلسطيني، وسنتعرض هنا لبعض هذه المراكز التي ستسهم في إحداث تحول هائل على بيئة الصراع.

نفوذ اليمين الديني في الحكومة الصهيونية الجديدة ومخاطره

احتكار ملف الاستيطان:

إن أحد الإنجازات التي حققتها قوى اليمين الديني تتمثل في تأمين احتكارها الإشراف على ملف الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية، وقد نص الاتفاق بين حزب الليكود الذي يقوده «نتنياهو» وحركة «الصهيونية الدينية» التي يقودها «بتسلال سموتريتش» على تدشين وزارة خاصة تعنى بالإشراف على الاستيطان، وتكون تابعة نظرياً لوزارة الحرب، لكن ستشغلها النائبة «أوريت ستروك»، وهي قيادية في «حركة الصهيونية»، وتعد من غلاة قيادات المستوطنين اليهود في الضفة الغربية في الوقت ذاته، ولما كانت حركة «الصهيونية الدينية» تنادي بضم الضفة الغربية، فحصولها على هذه الوزارة ذات التأثير الهائل على مستقبل الأراضي المحتلة سيساعدها على تحقيق الهدف.

وقد منح الاتفاق بين الليكود و«الصهيونية الدينية» الوزيرة العتيدة «ستروك» صلاحية منح تراخيص لبناء مستوطنات يهودية جديدة، فضلاً عن منحها الحق في تشريع عشرات البؤر الاستيطانية التي دشنها المستوطنون اليهود في أرجاء الضفة بدون الحصول على إذن الحكومة والجيش.

وستعمل الوزيرة الجديدة على توفير المحفزات التي تشجع المستوطنين اليهود على القدوم للإقامة في المستوطنات المقامة في الضفة من خلال التوسع في بناء مشاريع البنى التحتية، وتوفير فرص عمل وتقديم قروض ائتمانية لمساعدة الأزواج اليهوديين الشباب على شراء شقق سكنية في المستوطنات بشروط ميسّرة.

لكن مما لا شك فيه أن أخطر ما تنطوي عليه الصلاحيات الممنوحة لهذه المتطرفة هي تلك المتعلقة بمراقبة البناء الفلسطيني في المناطق التي تعرف بمناطق «ج» التي تشكل أكثر من 60% من مساحة الضفة الغربية؛ فإحدى الجرائم التي ارتكبتها منظمة التحرير الفلسطينية التي وقّعت على اتفاقية «أوسلو» تتمثل في أنها منحت «إسرائيل» الصلاحيات الأمنية والمدنية في مناطق «ج»، بمعنى أن الكيان الصهيوني هو صاحب الحق في منح تراخيص البناء في هذه المنطقة، وبالتالي يحق للصهاينة تدمير المنازل الفلسطينية إذا بنيت بدون الحصول على تراخيص.

ونظراً لأنه من النادر أن تمنح السلطات الصهيونية الفلسطينيين تصاريح للبناء، فإن الكثير منهم يضطرون للبناء بدون الحصول على تصاريح، وهذا يمنح تلك السلطات الحق في تدمير هذه المنازل، ومن الواضح أن الوزيرة الجديدة ستتوسع في تنفيذ عمليات تدمير المنازل الفلسطينية بهدف تقليص الوجود الفلسطيني في المنطقة مما يساعد على إفساح المجال أمام توسع المستوطنات.

قوى اليمين الديني ستحتكر الإشراف على ملف الاستيطان في الضفة الغربية

«أوسلو» منحت الاحتلال الحق في تدمير منازل الفلسطينيين بأكثر من 60% من الضفة

وزارة المالية:

تعد وزارة المالية ثاني أهم وزارة «سيادية» في الكيان الصهيوني، حيث إن وزير المالية هو المسؤول عن صياغة

السياسة الاقتصادية، وبشكل أساس تحديد جدول الأولويات «القومي» على صعيد الموازنات، وقد منح الاتفاق الائتلافي بين الليكود و«الصهيونية الدينية» وزارة المالية لزعيم الحركة «سموتريتش»، وإن كانت الوزيرة «أوريت ستروك» ستكون مسؤولة عن اتخاذ الإجراءات الإدارية التي تشجع الاستيطان اليهودي في الضفة، وتجفف الوجود الفلسطيني هناك؛ فإن «سموتريتش» سيتولى تخصيص الموازنات المالية اللازمة لتحقيق حلمه في ضم أغلب مناطق الضفة الغربية للكيان الصهيوني.

ويتوقع على نطاق واسع أن يعلن «سموتريتش» عن المستوطنات اليهودية في الضفة والقدس والجولان كمناطق «أفضلية أ»، وهي المناطق التي يمنحها الكيان مزايا تفضيلية مقارنة بالمناطق الأخرى؛ من حيث الموازنات والتسهيلات الضريبية وفرص العمل ذات مستويات الدخل المرتفع، ومما يعزز من تأثير حصول اليمين الديني على وزارة المالية حصول هذا اليمين على وزارة لا تقل أهمية وهي وزارة الإسكان، التي سيتولاها الحاخام «إسحاك غولدنكاف»، زعيم حركة «يهدوت هتوراة» الدينية الحريدية.

وتكمن خطورة حصول «غولدنكاف» على هذه الوزارة حقيقة أن أتباع التيار الحريدي يبحثون عن مجتمعات منفصلة، ويحرصون على عدم الاختلاط بالقوى

أحد المتطرفين سيكون مسؤولاً عن منح الخدمات لنحو 70% من فلسطينيي الداخل

هذه السياسات ستكون وصفة لإشعال الأوضاع.. فالشعب الفلسطيني عصيّ على الكسر

العلمانية، ومنذ عقدين من الزمان وجد الحريديم ضالتهم في تدشين المستوطنات في الضفة الغربية؛ حيث تمنحهم تلك البقعة الجغرافية القدرة على العيش دون الاختلاط بالقوى والتيارات اليهودية التي لا تتبنى نمط توجهاتها الدينية، وسيوظف «غولدنكاف» نفوذه في الدفع نحو تدشين مستوطنات خاصة بالحريديم داخل الضفة الغربية تسهم في تحقيق هدف الكيان الصهيوني المتمثل في حسم مصير الأرض لصالحه.

وزارة النقب والجليل والأحياء:

توصل حزب الليكود والحركة «الكاهانية» الدينية المتطرفة التي يقودها «إيتمار بن غفير»، الذي سيتولى منصب وزير الأمن الوطني في الحكومة الجديدة، إلى اتفاق يتم بموجبه تدشين وزارة جديدة يطلق عليها وزارة «النقب والجليل والأحياء»، ومنحها لـ«إسحاك فاسلوف»، أحد قيادات «الكاهانية».

وتكمن خطورة هذا التطور في أمرين؛

أولاً: منطقتا «النقب والجليل» تضمان حوالي 70% من فلسطينيي الداخل، وستكون الوزارة الجديدة مسؤولة عن منح الخدمات للقاطنين فيهما.

ثانياً: البرنامج العام لحركة «الكاهانية» ينص بشكل صريح على ضرورة تشجيع فلسطينيي الداخل على الهجرة إلى الدول العربية، من هنا، فإنه عندما يتولى قيادي في «الكاهانية» منصب وزير «النقب والجليل والأحياء»، فإنه سيصمم سياسات الوزارة بحيث تسهم في تقليص قدرة فلسطينيي الداخل على الصمود والبقاء، وقد أوضح «فاسلوف» بشكل صريح أنه سيعمل على مساعدة من وصفهم «المخلصين للدولة»؛ أي أنه يعلن سلفاً أنه لن يسارع إلى تقديم الخدمات إلى فلسطيني الداخل.

رغم ما تقدم، فإن تطبيق السياسات التي تمت الإشارة إليها آنفاً لا يعني بالضرورة أنها ستؤتي أكلها وتحقق النتائج المرجوة منها؛ فهذه السياسات ستكون وصفة لإشعال الأوضاع بشكل غير مسبوق؛ فالشعب الفلسطيني أثبت أنه عصيٌّ على الكسر، ولن تسهم هذه السياسات إلا في تأجيج مقاومته بشكل يفضي إلى جباية أثمان باهظة من المحتل الغاصب.■

الحكم على رئيس بلدية إسطنبول يشعل سباق الانتخابات التركية

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

في 14 ديسمبر 2022م، أصدرت محكمة تركية حكماً بالسجن على رئيس بلدية إسطنبول الكبرى «أكرم إمام أوغلو»؛ بتهمة إهانة القضاء، حيث قررت المحكمة الابتدائية سجنه مدة سنتين و7 أشهر و15 يوماً مع حرمانه -نفس المدة- من بعض الحقوق بما فيها المشاركة السياسية.

وكما كان متوقعاً، فقد كانت الدلالات والتبعات السياسية للقرار أكثر حضوراً في الدوائر السياسية والإعلامية التركية من البعد القانوني الصرف لعدة اعتبارات، أولها أن «إمام أوغلو» شخصية سياسية معارضة، وهو رئيس لكبرى البلديات في البلاد (إسطنبول)، والقضية كلها مبنية على تصريح له عقب انتخابات بلدية إسطنبول المعادة في عام 2019م، ورداً على تصريح لوزير الداخلية «سليمان صويلو» وصفه فيها بـ«الأحمق»، فرد «أوغلو»: إن «الحمقى هم من ألغوا نتيجة انتخابات بلدية إسطنبول».

وفضلاً عن كل ذلك والأهم منه ربما أن الرجل يرد اسمه ضمن المرشحين المحتملين في جبهة المعارضة لمنافسة الرئيس «رجب طيب أردوغان» في الانتخابات الرئاسية المقبلة بعد أشهر، ويضاف لذلك بعض الإشارات المهمة، مثل تغيير القاضي قبل فترة وجيزة من النطق بالحكم، وتصريحات قيادات حزب العدالة والتنمية الحاكم التي أكدت أن «أوغلو» قد أهان القضاء فعلاً، وأنه «ليس فوق القانون».

ما زال حكم المحكمة ابتدائياً ولن ينفذ بشكل مباشر، كما هي حال هذا النوع من القضايا التي يُحكم فيها لأقل من 5 سنين سجناً، وبالتالي ما زال «أوغلو» على رأس عمله رئيساً لبلدية إسطنبول الكبرى، وما زال -نظرياً على الأقل- أحد المرشحين المحتملين للانتخابات الرئاسية المقبلة.

وعليه، يحتاج الحكم كي يتأكد ويصبح نافذاً إلى تثبيته عبر محكمة الاستئناف، ثم محكمة النقض العليا، وهو مسار يمكن أن يستغرق شهوراً وربما أطول من ذلك، وقد ذكرت هيئة الدفاع عن رئيس البلدية أنه بصدد الاعتراض على القرار أمام محكمة الاستئناف، كما أن المدعي العام للقضية صرح بأنه كذلك سيستأنف القرار لما فيه من ثغرات، وفق تصريحه.

دلالات القرار

الدلالات والتبعات السياسية للقرار بدت متسارعة ومتغيرة ولها عدة وجوه للقراءة والتقييم، ففي اللحظات الأولى لصدور القرار، كانت التقييمات تشير إلى أن الرئيس التركي قد تخلص من أحد أقوى منافسيه المحتملين في سباق الرئاسة في استحقاق انتخابي يجمع معظم المراقبين على أنه استثنائي ومحوري في مسيرة الرجل وحزبه الحاكم والأصعب عليه منذ تسلم الحكم في عام 2002م.

بيد أن الساعات والأيام القليلة التي تلت الإعلان عن القرار القضائي أظهرت أن «أوغلو» قد استفاد إلى حد كبير من القرار، برفعه شعار المظلومية وتسييس القضاء، ومقارنته بين محاكمته على تصريح قاله ومحاكمة الرئيس «أردوغان» نفسه في عام 1997م بسبب أبيات شعر قالها حين كان -للمفارقة- رئيساً لبلدية إسطنبول الكبرى والزج به في السجن وحرمانه من المشاركة السياسية، وهي المقارنة التي رفضها العدالة والتنمية، واضعاً كلام الرئيس «أردوغان» في إطار قراءة الشعر وحرية التعبير وكلام «أوغلو»

في إطار إهانة القضاء.

وقد جمع «أوغلو» الآلاف من أنصاره أمام مبنى بلدية إسطنبول الكبرى وخطب فيهم متحدياً القرار الذي وصفه بالسياسي، وكان إلى جانبه أكثر المؤيدين لترشحه للرئاسة رئيسة الحزب الجيد «ميرال أكشنار».

وفي اليوم التالي للقرار، اجتمع قادة أحزاب المعارضة المنضوية تحت «طاولة الستة» مع «أوغلو» في مكتبه في رسالة تضامن، وقد رأت هذه القيادات أن القرار سياسي بامتياز، ويهدف للانتقام من «أوغلو» لأنه هزم مرشح العدالة والتنمية في انتخابات بلدية إسطنبول في عام 2019م «بن علي يلدرم»، كما قال بعضهم: إن الهدف هو إزاحة «أوغلو» من مشهد الانتخابات لأنه يمثل تهديداً لـ«أردوغان».

كما أن الكثيرين رأوا أن القرار يعيد اسمه لقائمة المرشحين المحتملين للانتخابات الرئاسية مقابل «أردوغان»، بل وينعش آماله بالفوز فيها، بعد أن كان هو نفسه أكد دعمه لترشح رئيس حزبه «كليتشدار أوغلو»، فيما بدا حينها للمراقبين على أنه خضوع لضغوط الأخير الذي يملك صلاحيات شبه مطلقة داخل الحزب.

لكن، وبعد أيام من صدور القرار، كانت البلاد أمام مشهد مختلف تماماً، مشهد الخلافات الضمنية والعلنية بين أحزاب المعارضة وشخصياتها القيادية، ذلك أن رئيس حزب الشعب الجمهوري المعارض (الذي ينتمي له «أوغلو») وزعيم المعارضة «كليتشدار» كان في زيارة لألمانيا يوم النطق بالحكم، ما جعله غائباً عن مشهد الدعم في الساعات الأولى، هذه الغلطة، وفق كثيرين، سببت للرجل حرجاً وغضباً عليه من قبل البعض وتركت الساحة لـ«أوغلو»، و«أكشنار».

في اليوم التالي، وأمام الحشود قال «كليتشدار»: إنه «لا يمكن لأحد أن يمنع «أوغلو» من خدمة 16 مليون إنسان في إسطنبول»، مؤكداً ضمناً رغبته في بقائه

«أوغلو» استفاد كثيراً من قرار المحكمة ضده برفعه شعار المظلومية وتسييس القضاء

الحكم على «أوغلو» أذكى الخلافات في صفوف المعارضة وأعطى زخماً للانتخابات المقبلة

رئيساً للبلدية وعدم ترشحه للرئاسة.

الرد عليه أتى من شريكته الكبرى في «طاولة الستة» «أكشنار» التي قالت: إن «من يدعمون «أوغلو» اليوم ليسوا فقط 16 مليوناً، وإنما 85 مليوناً»، قاصدة عدد سكان تركيا، ومؤكدة ضمناً دعمها لترشيحه للرئاسيات.

وفي ظل هذا الجدل، تحول «كليتشدار»، و«أوغلو»، من رئيس حزب ورئيس بلدية منتم إليه إلى سياسيَّيْن متنافسَيْن، ورغم أن الأول أكد استمرار دعمه للثاني، داعياً إياه إلى اجتماع الكتلة البرلمانية للحزب، فإنه حرص على إبقائه خارج المشهد حيث لم يعطه كلمة أمام نواب الحزب ووصف العلاقة بينهما بـ«علاقة الأب بابنه» من حيث الرعاية والدعم.

في المقابل، فقد أكد «أوغلو»، في لقاء صحفي في اليوم نفسه، أنه أحد اللاعبين الأقوياء في مواجهة «أردوغان»، وأنه مستعد لدخول المباراة متى قرر المدير الفني للفريق ذلك، في إشارة واضحة لرغبته في الترشح للرئاسة على عكس ما كان قاله سابقاً.

وفي حين قال «أوغلو»: إنه سيبقى الكابوس الأسوأ لـ«أردوغان»، قالت «أكشنار»، فيما بدا رداً على «كليتشدار»: إن الشعب التركي يعرف من يسعى للمصلحة العامة ومن يسعى لمصلحته الشخصية أو الحزبية، بعد أن كان الأخير حذرها عبر الإعلام من التدخل في شؤون حزبه الداخلية، قاصداً دعمها لمسألة ترشح «أوغلو» أو رئيس بلدية أنقرة الكبرى «منصور يافاش» للرئاسة.

وبالنظر إلى كل ما سبق، يمكن القول: إن القرار قد أذكى الخلافات في صفوف المعارضة، وهو ما يمكن عدُّه مصلحة جوهرية للرئيس التركي وهو على بعد أشهر قليلة فقط من الاستحقاق الانتخابي.

ولكن الجدل لن ينتهي والصراع المحتدم لن يحسم إلا بالنظر للقرار النهائي في القضية وبناء على توقيت صدوره كذلك؛ ذلك أن تأكيد المحاكم العليا القرار قبل موعد الانتخابات سيعني منع «أوغلو» من الترشح، فضلاً عن إزاحته من رئاسة بلدية إسطنبول الكبرى وذهابه للسجن، بينما تبرئته أو عدم صدور الحكم قبل موعد الانتخابات (وصدور النتيجة) يعني أنه بإمكانه الترشح وحتى الفوز.

ولذلك، بناء على كل ما تقدم، يمكن القول: إن القرار الذي صدر بحق رئيس بلدية إسطنبول قد أعطى زخماً لمسار الانتخابات المقبلة لا سيما الرئاسية، على محور الحزب الحاكم – المعارضة، وكذلك بين قيادات المعارضة نفسها، بيد أن الكاسب الحقيقي من القرار والنتيجة السياسية النهائية له من الصعب أن تحسم قبل موعد الانتخابات إن كان على صعيد الترشح أو الفوز، فالشعب التركي قال كلمته في عدد من القرارات السياسية والقضائية على مدى العقدين الماضيين في صندوق الانتخابات فقط.■

حوار- محمد سرحان:

في حوار مع مدير المركز العالمي للتواصل الحضاري د. أحمد عبده لـ«المجتمع»:

6 تحديات يواجهها المسلمون في فنزويلا

تعد فنزويلا من الدول التي وصلها الإسلام منذ قرون، سواء بوصول مسلمين فروا من «محاكم التفتيش» في الأندلس، أو انتقل إليها عبر البرازيل، لكن الوجود الإسلامي فيها اختفى بفعل عوامل تاريخية والاستعمار، إلى أن ظهر مجدداً بشكل ملموس قبل نحو نصف قرن.

ولمعرفة واقع المسلمين فيها، وأهم التحديات التي تواجههم، كان لنا هذا الحوار مع مدير المركز العالمي للتواصل الحضاري في فنزويلا د. أحمد عبده، وهو داعية أردني يعيش في فنزويلا منذ 17 عاماً، ويقوم المركز العالمي للتواصل الحضاري الذي يديره بالتعريف بالإسلام، والعمل على تأهيل المسلمين الجدد في فنزويلا بتعليمهم القرآن الكريم والتأهيل الدعوي.

الدعوة لا تقتصر على التعريف بالإسلام وهناك 3 خطوات مهمة لذلك

أمريكا اللاتينية قارة منسية لا تجد الاهتمام من قبل الدول والمؤسسات الإسلامية

● ما خطوات عملكم في التعريف بالإسلام؟

– الدعوة لا تقتصر على مجرد التعريف بالإسلام، بل إن الاهتمام بالمسلم الجديد ومتابعته وتأهيله أصعب كثيراً من دخوله في الإسلام، فهناك خطوات مهمة للعمل الدعوي في المجتمعات غير المسلمة، أولها: التعريف بالإسلام، وهي أسهل المراحل، وبعد اعتناق الدين تكون الخطوة الثانية؛ وهي تعليم المسلمين الجدد، والاهتمام بهم للاستمرارية والثبات، ثم الخطوة الثالثة الأكثر أهمية؛ وهي تأهيل المسلم الجديد ليقوم بدعوة غيره؛ أي يتحول من مدعو إلى داعية، وهذا لا يجعل العمل الإسلامي مرهوناً بوجود شخص أو أشخاص بعينهم.

● ماذا عن الوجود الإسلامي في فنزويلا؟

– المسلمون في فنزويلا تقدر أعدادهم بحوالي 50 ألف شخص، غالبيتهم من الجاليات العربية المهاجرة من لبنان وفلسطين وسورية وأعداد قليلة من الدول الأخرى، إلى جانب المسلمين الجدد من أصول لاتينية، يتوزع المسلمون في أغلب مدن فنزويلا بواقع نحو 15 ألف مسلم في العاصمة كاراكاس، والبقية في المدن الأخرى بنسب متفاوتة.

● هل الوجود الإسلامي في فنزويلا قديم؟

– وصول الإسلام إلى أمريكا اللاتينية قديم، وله تاريخ طويل بوصول العبيد الأفارقة المسلمين، وبعض المسلمين الموريسكيين الذين فروا من الأندلس، كما وصل الإسلام إلى البرازيل ومنها انتشر في بقية دول القارة وطبعاً مر بمراحل مختلفة من الظهور والذوبان.

أما بخصوص الوجود الحالي فنستطيع أن نقول: إن من مراحله وصول الهجرات العربية إلى دول القارة قبل نحو قرن، وكانت أيضاً في البرازيل أولاً، ولذلك تجد مسلمي البرازيل الآن لديهم الجيل الخامس وأعدادهم نحو مليون ونصف المليون مسلم، أما في فنزويلا فلدينا حتى الجيل الثالث، ونستطيع

القول: إن المسلمين هنا منذ حوالي 50 عاماً، حيث جاء مهاجرون من لبنان وفلسطين وسورية للتجارة، وأقاموا لأنفسهم بعض المصليات فقط، وكان عدد المسلمين الجدد قليلاً جداً نظراً لندرة التعريف بالإسلام.

● هل هناك مراكز إسلامية كافية ومؤهلة للعمل الدعوي في فنزويلا؟

– في فنزويلا حوالي 16 مركزاً إسلامياً ومؤسسة دعوية، منها ما هو مجرد مصلى، وبعضها عبارة عن مصلى ومدرسة وملحق به مقبرة إسلامية، وبعضها عبارة عن مسجد كبير يشمل مدرسة إسلامية وبجواره مقبرة إسلامية، كما أنه في العاصمة كاراكاس يوجد المسجد الإبراهيمي، وهو ثاني أكبر مسجد في أمريكا اللاتينية، ومئذنته هي أطول مئذنة في القارة.

● ما أبرز التحديات التي تواجه العمل الإسلامي في فنزويلا؟

– دعني أخبرك أن الواقع متشابه كثيراً بين دول أمريكا اللاتينية عموماً، والعادات والثقافة متشابهة بين دول القارة، فأغلب الدول تتحدث اللغة الإسبانية، ما عدا البرازيل التي تعتبر نصف القارة تتحدث اللغة البرتغالية، وهناك دول صغيرة تتحدث الإنجليزية، ولذلك التحديات متشابهة أو يمكن تعميمها مع بعض الفروق البسيطة.

وبخصوص التحديات يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

أولاً: قلة عدد الدعاة: هناك نقص كبير في عدد الدعاة المتخصصين المؤهلين الذين يجيدون اللغة الإسبانية، حتى إن هناك أعداداً كبيرة من المسلمين الجدد يدخلون الإسلام عن طريق الإنترنت في مناطق لا يوجد بها دعاة يقومون بمتابعتهم وتعليمهم بشكل مباشر، وللتغلب على هذه الأزمة افتتحت مؤخراً الجامعة الإسلامية بأمريكا اللاتينية، وهي فرع للجامعة الإسلامية في منيسوتا بالولايات المتحدة لتخريج جيل مؤهل من الدعاة.

ثانياً: غياب المتخصصين: فالمراكز الإسلامية على قلتها أغلب القائمين عليها من غير المتخصصين؛ سواء في العمل الدعوي، أو الجانب الإداري للمؤسسات الدعوية.

ثالثاً: عدم التواصل بين المؤسسات الإسلامية: للأسف ليس هناك تواصل أو تنسيق بين المراكز الإسلامية أو المؤسسات الدعوية، حيث تعمل كل منها في مدينة منعزلة، وقد تمر سنوات دون لقاء أو اجتماع واحد يجمع القائمين على هذه المؤسسات للتنسيق أو الاستفادة من التجارب.

رابعاً: زواج المسلمات الجدد: عدد النساء من المسلمات الجدد أكبر كثيراً من الرجال، وبالتالي فهؤلاء المسلمات هن في حاجة للزواج من مسلمين، ولا توجد هنا ثقافة التعدد، فكثير منهن يقعن في تجربة الزواج عبر الإنترنت من شاب مسلم أراد المجيء لهذه الدول والإقامة، فيقدم نموذجاً سيئاً للشاب المسلم.

خامساً: تفلت أبناء المسلمين من الإسلام: من التحديات كذلك أنت تقوم بدعوة الناس للدخول في الإسلام، تصطدم بتفلت أبناء المسلمين أنفسهم من الإسلام، ويقعون في فخ الانفتاح الواسع الموجود في هذه البلاد وعدم متابعتهم، وأيضاً بسبب عزوف كثير من المسلمين من الجاليات العربية والمسلمة عن حضور النشاطات الإسلامية ظناً أنهم ليسوا في حاجة لهذه النشاطات والتعاليم الإسلامية.

سادساً: القارة المنسية: أعتبر أن أمريكا اللاتينية قارة منسية، فهي لا تجد الاهتمام المناسب من قبل الدول والمؤسسات الإسلامية، ربما لبُعد المسافة، فلا تجد زيارات ملحوظة من مسؤولي المؤسسات الإسلامية العالمية؛ ما ينعكس بالسلب على واقع المسلمين في هذه القارة.

● هل من رسالة أخيرة؟

– بالتأكيد أشكر مجلة «المجتمع» على اهتمامها ودورها في التعريف بالمسلمين حول العالم، وهذا الدور المطلوب والمفترض للمؤسسات الإعلامية، و«المجتمع» سباقة في هذا الاهتمام.■

مرحباً بقرَّاء مجلة «المجتمع» الغراء، التي نعتز بها، ونقدر دورها، ونتمنى لها استمرار إنارة الوعي الإسلامي الوسطي الرشيد.

يقدمها المفكر الإسلامي
د. محمد سليم العوَّا(*)

أعدها للنشر: حسن القباني

قراءة في كتاب «مقدمة ابن خلدون» (11)

«الإسرائيليات» أساس التحريف والكذب والغرائب

وقفنا في الحلقة السابقة عند تكذيب ابن خلدون لعدد أفراد جيوش بني إسرائيل، حيث قيل: إنهم كانوا ستمائة ألف أو يزيدون، والذي لا يتفق مع سعة الممالك ولا مع القوانين الحاكمة لما تستطيع الدول أن تنفقه على جيوشها، وأورد أسباباً لبطلان هذا الخبر.

قال: «وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان ومن بعده، فبعيدٌ أيضاً، إذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلا أحد عشر أباً، ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى مثل هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلى المئين والألوف، فربما يكون، وأما أن يتجاوز ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد»، فهو يؤكد أنه حتى لو بعد أحد عشر جيلاً -أي في زمني النبيين موسى وسليمان- لا يمكن أن يصل إلى ذلك العدد البعيد.

قال: «واعتبر ذلك في الحاضر الشاهد والقريب المعروف، تجد زعمهم باطلاً ونقلهم كاذباً، ننظر في زمننا»، فهو يُعمل القياس، لأن طبيعة البشر في الإنجاب واحدة، متقاربة، فإذا كان في أجيالنا يستحيل في أحد عشر جيلاً أن نصل إلى هذه الأعداد فيستحيل أيضاً أن يكونوا هم قد وصلوا إلى هذه الأعداد.

قال: «والذي ثبت في الإسرائيليات أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفاً، خاصة وأن مقرَّباته كانت ألفاً وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه»، وعندما يتحدث العالم المسلم الرصين كابن خلدون عن «الإسرائيليات» فهو يعني مظنة التحريف والكذب ومظنة اختراع الأخبار، والأصل عدم صحته، وإذا جاءت الصحة تأتي مصادفة، و«المقرَّبة» هي الفرس القوية التي تستطيع أن تصمد في القتال وتحسن الهجوم والكر والفر، فكانوا يكرمونها ويجعلونها على مقربة من أبواب بيوتهم ليكرموها في دخولهم وخروجهم، وينظرون إليها.

قال: «هذا هو الصحيح من أخبارهم، ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم، وفي أيام سليمان عليه السلام، كان عنفوان دولتهم واتساع ملكهم، هذا وقد تجد الكافة من أهل العصر إذا أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم أو قريباً منه، وتفاوضوا في الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى، أو أخذوا

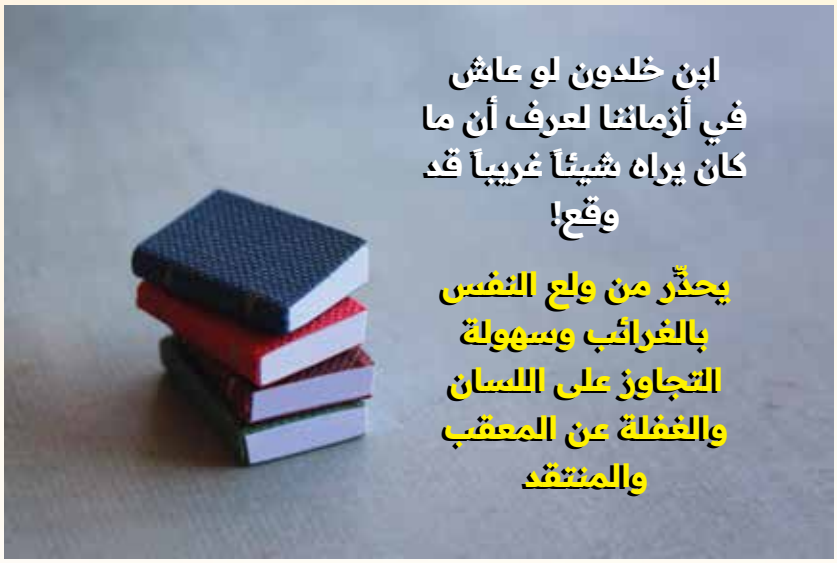

(*) هذه المقالات أصلها حلقات ترفع تباعاً على موقع «يوتيوب» على قناة باسم د. محمد سليم العوَّا، والقراءة في مقدمة ابن خلدون لا تزال مستمرة.

في إحصاء أموال الجبايات وخرج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الأغنياء الموسرين، توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الإغراب».

والإغراب هو الإتيان بغريب الأخبار، ولو عاش ابن خلدون في أزماننا تلك، لعرف أن ما كان يراه شيئاً غريباً، قد وقع، وأن هناك أفراداً في الأمم والدول يملكون ما كانت تملكه دولة بكاملها في قرون بقائها، بسبب فساد الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

الولع بالغرابات

قال: «فإذا استكشف أصحاب الدواوين عن عساكرهم، واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم، واستجليت عوائد المترفين في نفقاتهم، لن تجد معشار ما يعدونه، وما ذلك إلا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن المعقب والمنتقد، حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة، ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه، ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق، وحسبك بها صفقة خاسرة».

إن الناس مولعة بالغرابة، وفي صغري كان هناك وعاظ، يزعمون أن في الجنة طائراً له سبعون منقاراً، وفي كل منقار سبعون ألف لسان، وفي كل لسان سبعون ألف لغة، منشغل فقط بتسبيح الله تعالى، ولما رجعت إلى والدي، رحمه الله، ضحك وعلمت ببطلان ما ذكر هؤلاء الوعاظ، وعلى مر الزمان كلما وجدت أشياء كتلك، أضحك على من كان يرعبنا بالطائر ذي السبعين ألف لسان!

وبنفس المنطق، يحذرنا ابن خلدون من ولع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن المعقب والمنتقد، أو كما يقولون عندنا بمصر في الأمثال الشعبية: «الكلام ليس عليه جمرك»، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18)، ولنصيحة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما قال له: «أمسك عليك لسانك»، وحذره بقوله: «وهل يكُبُّ الناسَ في النارِ على وجوههم (أو قال على مَنَاخِرهم) إلا حَصائدُ ألسنتِهم؟»، فاللسان خطير للغاية.

أخطأ خطأ كبيراً حينما ادَّعى أن كتب الأديان السابقة لم تُبدَّل

وأضاف ابن خلدون -في نسخ أخرى غير النسخة المحققة التي نعمل عليها للأستاذ إبراهيم شبوح- أن هناك قولاً آخر يؤكد أن هذا كان معجزة لبني إسرائيل بوعد الله لأنبيائهم الأولين بأن تكون ذريتهم بعدد نجوم السماء وحصى الأرض، والمعجزة حينئذ لا تحكمها القوانين البشرية ولا يدخلها قياس الحاضر بالماضي، وبرر ذلك بأن ذلك ورد في التوراة، وهو خطأ لا بد من الوقوف عنده.

قال ابن خلدون: «وإن عارض أحد بالطعن على خبر ذلك (يقصد المعجزة)، وأنه إنما ورد بالتوراة، واليهود قد بدَّلوها على ما هو معروف، فالقول بهذا التبديل مرجوح عند المحققين وليس على ظاهره؛ لأن العادة مانعة من اعتماد أهل الأديان ذلك في صحفهم الإلهية، كما ذكره البخاري في صحيحه، فيكون هذا النمو الكثير في بني إسرائيل معجزة خارقة للعادة، وتبقى العادة مانعة من ذلك في غيرهم على حكم دلالتها».

وهذا خطأ شنيع من ابن خلدون رحمه الله، نتحفظ عليه، ونرفضه، وقد بحثت في البخاري فلم أجد إشارة لما ذكره من أن كتب الأديان السابقة لم تبدل، خاصة أن القرآن الكريم نص على أنها بدلت، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 78).

وإن أ.د. علي عبدالواحد وافي في تحقيقه للمقدمة، انتقد ابن خلدون، في هذا الموضع، موضحاً أن القرآن نص على تحريفها، وأن البحوث اللغوية والتاريخية الحديثة أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأسفار الخمسة التي يطلق عليها التوراة من عمل اليهود أنفسهم وأنها كتبت في عصور مختلفة وأن أقدمها كتب بعد موسى بأربع قرون.

إذن، كلام ابن خلدون، رحمه الله، في هذه الفقرة خطأ كله، فلا يوجد معجزة ولا كتب اليهود صحيحة، ولا يوجد بشر معصوم، ولا أحد يمتلك الصواب دائماً، والكل قد يقع في الخطأ، ومنهم ابن خلدون رحمه الله.■

اقتصاد إسلامي

نظرات اقتصادية في سورة «البقرة» (8)

رسالتنا في الأرض التعمير والاستخلاف

د. أشرف دوابه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

تناولنا في الحلقة السابقة من سورة «البقرة» قيمة المعرفة في تقدم الأمم، فلا عبادة بدون عمران، ولا عمران بدون استخلاف، ولا استخلاف بدون معرفة، وقد علم الله سبحانه وتعالى الأسماء كلها، فكان جديراً بالخلافة في الأرض.

الإنسان السوي يبتعد عن المحرمات حتى لا يظلم نفسه بشهوة عاجلة ويحرمها نعيماً أبدياً

نزول آدم وزوجه من الجنة إلى الأرض بهدف تعميرها وليس عقاباً لهما بالحرمان من خيراتها

تنتقل الآيات بعد ذلك في سورة «البقرة» لتكشف عن مزيد من التكريم لآدم عليه السلام، والدنيا وما فيها من ابتلاء، والطريق لتحقيق الرفاه في الدنيا والآخرة؛ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة).

وقد جاء سجود الملائكة لآدم طاعة لله وليس لأمر آدم، وهذا من تكريم الله للإنسان، وفي المقابل نجد أن الشر لا ينفصم؛ فجاء رد إبليس إباء واستكباراً وحسداً بالرفض، وهذا السلوك مدمر ليس لإبليس فحسب، بل لمن اتبعه من البشر، وعجز عن إبطال روح الشر وإبطال خواطر السوء التي تحدثه بها نفسه، التي هي سبيل التنازع والتخاصم والتعدي وأكل أموال الناس بالباطل والإفساد في الأرض.

واستمر تكريم الله لآدم في عالم الاختبار فأسكنه وزوجه الجنة.. فاستعداد المرأة لا يقل عن استعداد الرجل.. والجنة هي بستان التجربة على التكليف وليست جنة الخلد، وأمده فيها بكل ما يضمن استمرار حياتهما بسعة العيش والهدوء والطمأنينة.. جنة لا يظمأ فيها ولا يضحي أو يكدّ، ولا يجوع فيها ولا يعرى.. جنة تحقق الرغد، وهو منتهى غاية النظام الاقتصادي الإسلامي.

وتكشف الآيات عن جانب مهم من حياة البشر وسُنة معاشهم؛ وهو الابتلاء والوقوع في غواية الشيطان الذي يزين لهم الباطل ويدفعهم له دفعاً، فالله تعالى فتح لآدم من أبواب الحلال والطيبات ما لا يحصى عده من المباحات، وألهمه معرفة الخير، وحذَّره من الاقتراب من شجرة واحدة من أشجار الجنة الغزيرة الوارفة، وألهمه بذلك معرفة الشر، الذي تهدى الفطرة لقبحه ووجوب اجتنابه، ولكنه ترك الكثير ووقع في الشر المحذور بملابسة الشيطان ووسوسته، فأكل من الشجرة فظلم نفسه بمعصية ربه، وخرج من الجنة.

وهو مثال لما يلاقيه الإنسان من البلاء والعناء بالخروج عن الفطرة السليمة، فكل إنسان له شجرة في حياته ممثلة في شهوات محركات ومحرمات محدودات يجب أن يتجنبها، فتلقى آدم كلمات ربه والرجوع للفطرة السليمة بالتوبة والاعتراف بالذنب والرجوع لله عند الضيق واللوذ به في الشدائد، وتوبة الله هي مفتاح الهداية والإنابة والمخرج من كل ضيق، والتفلت من شرك البلاء، فلا مناص للإنسان صاحب الفطرة السوية من البعد عن اقتراف المحرمات وهي قليلة العدد من أكل الأموال بالباطل والخبائث مقارنة بالمباحات التي لا حصر

الإنسان أساس التنمية بما منحه الله من هُدى وحباه من مواهب وجعله خليفته في الأرض

لها حتى لا يظلم نفسه بمنحها شهوة دنيوية عاجلة ويحرمها من نعيم أبدي في الآخرة.

من الراحة إلى العمل

وكان من نتيجة ذلك أن انتقل آدم إلى عهد الاستخلاف، من أرض الراحة إلى أرض العمل والابتلاء، ومواجهة عدو الله وعدوهم خليفة الشر إبليس اللعين في معركة الحق والباطل، معركة الهدى والضلال التي ميدانها الإنسان نفسه، وهو الكاسب أو الخاسر فيها إلى قيام الساعة، وجاء هذا الانتقال استقراراً لآدم وذريته في الأرض لتعميرها، لا عقاباً لهم بالحرمان من التمتع بخيراتها، مع عدم خلودهم فيها، فاستقرارهم ومتاعهم إلى حين، وهذه حقيقة الدنيا؛ فحسنتها تعميرها بما يعمرها ويعمر الآخرة معاً بالإرادة والعهد مع الله بعيداً عن الشر والفساد بالاستسلام للشهوات والبعد عن الله تعالى.

ورغم ما وقع فيه آدم من معصية، فإن ذنبه من ذنوب الغفلة والنسيان وليس من ذنوب الغرور والاستكبار التي انتهجها إبليس؛ لذا كان من آدم الانكسار وتوجه إلى الله تعالى بالتوبة فتاب عليه ربه، ووضع سبحانه قاعدة العمل الإنساني للسعادة، فسعادة الإنسان باتباع هُدى الله، وشقاوته بتركه، فمن اتبع هُدى الله لا يخاف أو يقلق مما هو آت، ولا يحزن أو يألم على ما فات، لأن اتباع الهُدى هو السبيل لاكتساب الخيرات، وسعادة الدارين، فهو الزاد لتيسير ما يستقبله الإنسان، وتهوين ما يصيبه من فقد أو ألم، فيتلقى بالصبر كل ما أصابه، وبالطمأنينة ما يتوقع أن يصيبه، لأنه يوقن يقيناً جازماً بأن الله يخلفه، وما عنده سبحانه خير وأبقى، فيكون كالتعب في الكسب، لا يلبث أن يزول بلذة ما يحققه من ربح.

إن السعادة التي هي غاية الاقتصاد الإسلامي ليست في حرية البهائم، ولكنها في الحرية المنضبطة بضوابط الشريعة، وسعادة الدنيا معلولة بالاهتداء بالدين، فعقد الاستخلاف قائم على هَدْي الله، ومفرق الطريق هو أن يسمع الإنسان ويطيع لما يتلقاه من الله أو لما يمليه عليه الشيطان وليس بينهما طريق ثالث، فإما فلاح وإما خسران، وهذا حجة على الذين يرددون أن الكافرين لهم الدنيا ولنا الآخرة، فهو قول مغلوط شرعاً وعقلاً، فمن اتبع هُدى الله لا يضل ولا يشقى ويمتعه الله متاعاً حسناً، فالمسلم الحق يجمع بين الحسنيين؛ حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، ولا يكون مكتمل الإيمان وهو يأكل ويشرب ويلبس ويتداوى ويسلح نفسه من أعدائه، حيث إن القوة الاقتصادية هي من مرتكزات الحماية لإيمان الفرد والمجتمع والدولة.

والقرآن الكريم من خلال قصة آدم عليه السلام يعطي درساً مهماً بأن الإنسان سيد هذه الأرض، ومن أجله سخر الله له ما فيها، لذا فهو أعز وأجل من أي شيء مادي، وهو أهم عنصر في عناصر الإنتاج وبغيره لا قيمة للموارد، وليس كما عظمت المذاهب المادية من دور الآلة على حساب الإنسان، وأهملت القيم الروحية في سبيل تعظيم الربحية للمنتج والمنفعة للمستهلك، فالإنسان هو أساس التنمية بما منحه الله من هُدى وحباه من مواهب وجعله خليفته في الأرض؛ يقيم سُننه، ويظهر عجائب صنعه، وأسرار خلقه، وبدائع حكمه، ومنافع أحكامه.■

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

أرسل الله سبحانه لعباده الرسل مبشرين ومنذرين، وجعل معهم ومن بعدهم مصلحين يقيمون كل معوج، ويصلحون كل فاسد؛ فهم كالشموع التي تحترق لتضيء طريق الحق للناس، وكلما انطفأت شمعه قامت أخرى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي يناير، انطفأت العديد من الشموع التي أنارت للناس طريق الخير، منهم:

مصلحون رحلوا في يناير..

الديب وحمد وسبال

عبدالعظيم الديب.. صاحب «إمام الحرمين»

وُلد عبدالعظيم محمود الديب في قرية كفر إبري التابعة لمركز زفتى بمحافظة الغربية بمصر، عام 1929م، وحفظ القرآن الكريم منذ صغره في كُتَّاب القرية؛ ما أهَّله للالتحاق بالأزهر الشريف، وكان درجة نبوغه عالية، فالتحق بكليتين في آن واحد، هما: كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ودار العلوم، إلا أن إدارة دار العلوم علمت بذلك فخيَّرته بين إكمال تعليمه بالأزهر أو دار العلوم، فاختار دار العلوم وتخرج فيها عام 1956م، ثم حصل على كلية التربية، وبعدها حصل على الماجستير عام 1970م، ثم حصل على الدكتوراة عام 1975م، وبعدها انتقل إلى دولة قطر واستقر بها؛ وأصبح عضواً في لجنة جائزة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني الوقفية العالمية لسنوات طويلة، ورئيس قسم الفقه والأصول بكلية الشريعة بجامعة قطر، ومدير مركز بحوث السيرة والسُّنة بها بالنيابة، وعضو لجنة إحياء التراث بوزارة الأوقاف.

انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وتربى على يدي العالم البهي الخولي، كما كان رفيق درب للشيخ يوسف القرضاوي، وشارك منذ التحاقه بالأزهر في المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني لمصر، كما كانت قضية فلسطين في سلم أولوياته والدفاع عنها سواء بالجهاد على أرضها عام 1948م أو في المحافل والمؤتمرات الدولية.

اشتهر العلاَّمة عبدالعظيم الديب بملازمته لكتب ومؤلفات الإمام الجويني، حتى كانت رسالتا الماجستير والدكتوراة حول مؤلفات الإمام الجويني.

اختار د. الديب منذ وعيه طريقاً للعلم وعرة وصعبة لا يُقْدم عليها إلا الأفذاذ من أولي الهمم العالية؛ فاختار طريق التحقيق العلمي، متسلحاً بالفهم والوعي لما يحقق وينشر من علم، فأخرج العديد من الكتب، منها «البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين»، وكتاب «نهاية المطلب في دراية المذهب» الذي يعد أكبر كتاب مطبوع في الفقه الشافعي، وغيرها من الكتب.

ولم يقتصر على ذلك، بل كان من أكبر المعادين للماركسية والشيوعية، وظل على جهاده بالكلمة والقلم حتى توفاه الله صباح الأربعاء 20 المحرم 1431هـ/ 6 يناير 2010م، وقد تقدم المصلين عليه بالدوحة د. يوسف القرضاوي، والشيخ عبدالمعز عبدالستار، وعدد من كبار العلماء والمحبين، ودفن بها.■

اختار طريقاً للعلم وعرة لا يُقْدم عليها إلا الأفذاذ من أولي الهمم العالية

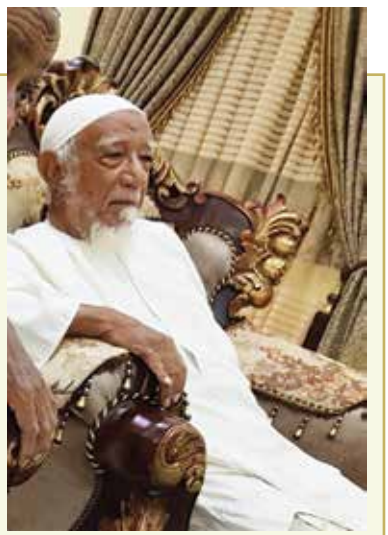

سبال.. الريادة بالعمل الخيري بالسودان

ولد محمد محمد مدني (سبال) بالخرطوم، يوم 31 يوليو 1930م، والتحق بمراحل التعليم التي استكملها في كلية التجارة بجامعة الملك فؤاد الأول

سليمان حمد.. بين الجهاد والدعوة

ولد سليمان حسن إسماعيل الحمد في قرية المغار قضاء الرملة في 28 مايو 1929م، وهاجر إلى قطاع غزة بعد نكبة عام 1948م، التحق بمراحل التعليم الأساسية والثانوية عام 1948م، حتى أنهى درجة البكالوريوس في اللغة العربية ودرجة الماجستير في العلوم العربية والإسلامية من جامعة لندن (بالانتساب)، ثم عمل مدرساً في عدة مدارس بقطاع غزة قبل أن ينتقل إلى دولة الكويت عام 1953م للعمل بها مدرساً، ثم مراقباً للشؤون الإدارية في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

انتمى في بداية حياته لعصبة التحرر الوطني، لكنه ما لبث أن تركها والتحق بجماعة الإخوان المسلمين عام 1950م، وكان له دور رئيس في تأسيس شعبة الإخوان في النصيرات، كما كان له الفضل في تأسيس العمل الإسلامي

صاحب فكرة العمل العسكري بالخارج وإنشاء مؤتمر لفلسطين يؤسس لمسيرة «حماس»

الفلسطيني بالكويت، وتولى قيادة الإخوان الفلسطينيين في الكويت من عام 1975 حتى نهاية عام 1989م.

وهو صاحب فكرة العمل العسكري في الخارج بالتوازي مع غزة والضفة، كما وقف وراء إنشاء قسم الطلاب في الحركة الإسلامية، وهو صاحب فكرة إنشاء مؤتمر لفلسطين يؤسس لمسيرة «حماس» ويضع البذرة لنشأة الحركة، كما تتلمذ على يديه جيل من الشباب المسلم.

ظل مخلصاً لدينه ودعوته ووطنه الذي عاش فيه الكويت، كما ظل عاملاً مجاهداً مخلصاً لوطنه فلسطين وقضيتها، حيث لم ير إلا الكفاح المسلح ضد الصهاينة خير سبيل، حتى توفاه الله يوم الأحد 30 جمادى الأولى 1441هـ/ 26 يناير 2020م.■

المصادر

1 – موقع الشيخ عبدالعظيم الديب: لقطات من حياته، https://bit.ly/3A9Ucfx.

2 – محسن محمد صالح: سليمان حمد.. رائد العمل الإسلامي الفلسطيني في الكويت، 29 يناير 2020، https://bit.ly/3ikD7ZS.

3 – محمد محمد مدني سبال رئيس مجلس شورى الإخوان بالسودان: إخوان ويكي، 7 أغسطس 2021، https://bit.ly/3GS41Ts.

(جامعة القاهرة حالياً)، ودرس المحاسبة وتخرج فيها عام 1950م، وحينما عاد للسودان عمل مراجعاً قانونياً في مكاتب المحاسبات ومدققاً حسابياً قبل أن يتفرغ للعمل الخيري والإنساني.

وأثناء دراسته بالقاهرة تعرف على جماعة الإخوان المسلمين، والتقى بالشيخ حسن البنا وبايعه وحمل فكرة الإخوان مع عدد من طلاب السودان.

تعرض للاعتقال في مصر في محنة الإخوان بعد حادثة المنشية عام 1954م، إلا أنه أفرج عنه وعاد للسودان؛ والتقى بكل من علي طالب الله، وصادق عبدالماجد وبقية إخوانه للعمل على نشر فكرة الإخوان المسلمين.

كان واحداً من الذين حافظوا على منهج دعوة الإخوان الوسطي في

أحد رواد العمل الخيري بالسودان ومن الذين حافظوا على منهج الإخوان الوسطي هناك

السودان، فقد ابتعد عن مجموعة حسن الترابي وأعاد هيكلة الجماعة مرة أخرى بصحبة محمد صالح عمر، وصادق عبدالماجد، وجعفر إدريس، وغيرهم، وقد انتخب عضواً بمجلس الشورى العام لجماعة الإخوان المسلمين بالسودان، وظل كذلك حتى عام 2016 حينما تم اختياره رئيساً له.

يعد سبال أحد رواد العمل الخيري في السودان، فهو من أوائل المؤسسين لمنظمة الدعوة الإسلامية عام 1980م؛ فحينما ضرب الجفاف مناطق كثيرة في السودان ووسط أفريقيا عام 1984م أدت لنزوح الكثيرين إلى الخرطوم؛ كان له دور كبير في رعايتهم وتلبية احتياجاتهم تحت رعاية منظمة الدعوة الإسلامية، وامتد نشاط الشيخ سبال إلى خارج السودان؛ فكان عضواً مؤسساً مع إخوانه للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

ظل الشيخ سبال صابراً مرابطاً محتسباً على طريق دعوته، عاملاً وسط إخوانه حتى ثقل عليه المرض؛ فكان آخر شيء حضره انتخابات المكتب التنفيذي للإخوان بالسودان التي جرت عام 2017 بمدينة الشباب، وظل كذلك حتى رحل يوم الإثنين 20 جمادى الأولى 1442هـ/ 4 يناير 2021م عن عمر ناهز 94 عاماً.■

مقال

د. علي الصلابي
كاتب في التاريخ الإسلامي

نوح عليه السلام..

نبي الله تعالى وعبده التقي

من صفات سيدنا نوح عليه السلام أنه تقيٌّ لله تعالى، وقد اهتمَّ بدعوة قومه إلى توحيد الله عزَّ وجل وإفراد العبودية له وحده والحث على تقواه؛ لأن تقوى الله عز وجل هي الضمانة الحقيقية لاستقامة الناس على ذلك المنهج، وعدم التخلف عنه هنا أو هناك، وعدم الاحتيال عليه أو الالتواء في تنفيذه، كما أنها مبعث الخلق الفاضل المنظور فيه إلى الله بلا رياء ولا تظاهر ولا مماراة، فقد كان نوح عليه السلام قوي العلم بالله عز وجل، وأثر ذلك في صدق إيمانه وكمال توحيده وخشيته وتقواه لربه.

فكلما كان العبد أعلم وأعرف بربِّه سبحانه؛ كان أشد خوفاً وتعظيماً وعبادة ومحبة وإخلاصاً له، والعكس بالعكس، فقد قال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 62)، أي أعلم من أمر الله ما لا تعلمونه، فأعلم من صفات الله وقدرته الباهرة، وبطشه بأعدائه ما جهلتم، وأعلم أن العاقبة للمتقين، وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين (الجليل، 1998، ج3، ص54).

ومن تقوى نوح عليه السلام لربه شدة تعظيمه وخوفه من الله تعالى، وقد جاء ذلك في قصة نوح مع قومه في سورة «هود»، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (هود).

ويظهر من هذه الآيات علمُ نوح عليه السلام بربه عزَّ وجل، الذي أثمر عنده هذا الأدب العظيم مع ربِّه، والخوف منه سبحانه، فتراه وهو يدعو ربه بشأن ابنه الهالك مع الكافرين، يختم دعاءه بقوله: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾، ولم يقل: وأنت أرحم الراحمين، وهذا من كمال علمه بأسماء الله عز وجل وصفاته وآثارها؛ لأن المقام مقام تفويض واستسلام لحكمة الله البالغة التي اقتضت أن يكون ابن نوح مع الهالكين، ولم يكن مع الناجين، ولذلك ختم نوح دعاءه بقوله: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾.

كما يظهر في هذه المناجاة خوف نوح عليه السلام من ربه، واتهامه لنفسه بالظلم وطلبه المغفرة من ربه سبحانه، وذلك في قوله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾، الله أكبر، هذا نوح عليه السلام الذي أمضى مئات السنين في دعوة قومه، وصبر وصابر وناله من الأذى والاستهزاء الشيء العظيم، ومع ذلك يختم دعوته بطلب المغفرة والرحمة من ربه سبحانه: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً﴾ (نوح: 28) (الجليل، 1998، ج3، ص57).

ثمرات التقوى

وكان نوح عليه السلام عبداً متقياً لربه في كل ما يجب أن يُتقى الله تعالى فيه، وهو اتقاء كل ما تفسد العقائد والأخلاق والعبادات والروابط العامة والخاصة، وكان على يقين من ربِّه بأن «العاقبة للمتقين»، وقد علم نوح عليه السلام أتباعه تقوى الله سبحانه، وزكى نفوسهم بالتربية على هذا الخلق العظيم.

ومن ثمرات التقوى الهادية إلى بناء المعرفة والقوة وحصول السيادة والتمكين في الأرض:

أ- أن جعل للمتقين ملكة من العلم، وهداية ونوراً في قلوبهم، وفرقاناً يفرقون به بين الحق والباطل، وبين الخير والشر،

كلما كان العبد أعلم بربِّه كان أشد خوفاً وتعظيماً وعبادة وإخلاصاً له

نوح كان عبداً متقياً لربه في كل ما يجب أن يُتقى الله فيه

الله تعالى يجعل للمتقين مخرجاً من كل شدة ويرزقهم من حيث لا يحتسبون

من سُنته تعالى تيسير سبل العيش الرغيد والحياة المريحة والنفسية المطمئنة لأهل التقوى

وبين الطيب والخبيث، ومخرجاً لهم من الشبهات وتكفيراً للسيئات، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال: 29).

ب- يجعل الله عز وجل للمتقين مخرجاً من كل شدة، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون ولا يأملون، ويبارك لهم فيما آتاهم ويكفيهم ما أهمهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق).

جـ- للمتقين معية خاصة، فالله تعالى معهم بتأييده ومعونته وهديه: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(النحل: 128).

د- يحصل بالتقوى الرخاء والخصب، فمن سُنته تعالى في خلقه حين يتركون ما نهى الله تعالى عنه وحرمه، حصول الخصب والوفرة في الإنتاج، وسعة العيش بكثرة الأمطار التي هي سبب كل خير من زرع وضرع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: 96).

هـ- المتاع الحسن للمتقين؛ ومن سُنته تعالى تيسير سبل العيش الرغيد الهنيء، والحياة المريحة والنفسية المطمئنة لأهل الإيمان والتقوى، وإفاضة نعمه الحسية والمعنوية عليهم، وهذا المتاع الحسن هو ثمرة عبادتهم لله تعالى، وتقواهم له، واستغفارهم وتوبتهم إليه: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود).

وهكذا، فإن العاقبة الحسنة ثابتة للمتقين لا تفوتهم أبداً وفق سُنة الله في خلقه، فقد صبر نوح عليه السلام وأتباعه على مشاق التكليف، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي (أمحزون، 2011، ج1، ص398).■

المراجع

1 - علي محمد الصلابي، نوح عليه السلام والطوفان العظيم (ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية)، دار ابن كثير، بيروت، 1441ه 2020-م، ص 401-404.

2 - عبدالعزيز ناصر الجليل، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، دار طيبة، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 1419هـ- 1998م.

3 - محمد أمحزون، السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1432هـ- 2011م.

«الكريسماس».. أصله وفصله

يحتفل المسيحيون الكاثوليك والبروتستانت، ومعظم العالم مجرور وراءهم، بزخرف الأضواء وبديع الألوان، وقوة التسوق، يوم 25 ديسمبر من كل عام بذكرى ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، بما يسمى «الكريسماس»، فهل هذا فعلاً هو يوم ميلاد المسيح؟ وما أصل هذا الاحتفال؟ وما فصله؛ أفي الشتاء، أم الخريف، أم الصيف؟ وما أبعاده التاريخية وقد صار مناسبة دينية مسيحية علمانية تجارية عالمية؟

د. أحمد عيسى:
دكتوراة في العقيدة وأصول الدين

كما جاء في قسم الديانة المسيحية في «هيئة الإذاعة البريطانية»[1]، فإن الأناجيل لم تذكر تاريخ ولادة عيسى عليه السلام، ولم يكن هناك يوم للاحتفال حتى القرن الرابع الميلادي حين قرر البابا «جوليوس الأول» تعيين 25 ديسمبر موعداً لعيد الميلاد، وكانت هذه محاولة لتصير الاحتفالات الوثنية التي تُجرى بالفعل في هذا الوقت من العام، وفي عام 529م أصبح 25 ديسمبر عطلة مدنية، وبحلول عام 567م كانت الاثنا عشر يوماً من 25 ديسمبر إلى عيد الغطاس أياماً رسمية.

ولأن عيد الميلاد مزيج غريب من التقاليد المسيحية والوثنية والشعبية، فمنذ عام 389م، حذر القديس «غريغوريوس نازيانزين»، أحد الآباء الأربعة للكنيسة اليونانية، من الولائم المفرطة والرقص وتتويج الأبواب.

ومن منتصف القرن السابع عشر حتى أوائل القرن الثامن عشر، قمع المسيحيون الأصوليون (الحركة البيوريتانية) احتفالات عيد الميلاد في أوروبا وأمريكا، كانوا يؤمنون بالقواعد الأخلاقية الصارمة، والاتباع الوثيق لكتاب العهد الجديد، ونظراً لأن تاريخ ميلاد المسيح ليس في الأناجيل، فقد اعتقدوا أن عيد الميلاد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمهرجان الروماني الوثني، وكانوا يعارضون جميع الاحتفالات به، وفي عام 1644م تم حظر جميع أنشطة عيد الميلاد في إنجلترا.

الجذور اليهودية

عيد الميلاد ليس مجرد مهرجان مسيحي، فالاحتفال له جذور في عطلة عيد الأنوار (الحانوكاه) اليهودي، واحتفالات اليونانيين القدماء، والمعتقدات والعادات الشعبية في أوروبا، وهذا تؤيده دوائر المعارف البريطانية والأمريكية، ويحتفي

اليهود بـ«الحانوكاه» كذكرى لاستعادتهم حريّة العبادة، وبحسب معتقدهم، لم يكن الزيت المقدس في الهيكل يكفي المتمردين على الإغريق لإنارة الشموع لأكثر من ليلتين، لكنه بقي مشتعلاً لثماني ليال.

وفي الجذور الوثنية، يأتي عيد الميلاد بعد منتصف الشتاء مباشرة، حيث تقوى الشمس وتبدأ الأيام في النمو لفترة أطول، بالنسبة للناس عبر التاريخ، كان هذا وقتاً للولائم والاحتفال، وكان القدماء صيادين، يقضون معظم وقتهم في الهواء الطلق، وأدت الفصول والطقس دوراً مهماً جداً في حياتهم، ولهذا السبب كان لديهم تبجيل كبير للشمس، بل وعبدوها، ورأى النورمانديون في شمال أوروبا الشمس على أنها عجلة غيَّرت الفصول، وفي هذا الانقلاب الشتوي كان النورمان يشعلون النار، ويشربون الخمر.

أما الرومان الوثنيون فكانوا أيضاً يقيمون مهرجانًا للاحتفال بالانقلاب الشتوي، أو عيد زحل إله الحصاد عندهم، لمدة 7 أيام من 17 ديسمبر، وربما نشأت أصلاً عن كلمات شكر كانت تُرَدّد في الاحتفال بذكرى الزراعة الشتوية، وبمرور السنوات فقدت أهميتها الزراعية وأصبحت مناسبة للاحتفالات العامة.

وقبل وصول المسيحية إلى الجزر البريطانية، عُقد الانقلاب الشتوي في أقصر يوم من أيام السنة (21 ديسمبر)، كان الدرويد (الكهنة السلتيك) يقطعون الثمر الأحمر الصغير «الهدال» الذي ينمو على شجرة البلوط ويمنحونه البركات، وكان يُنظر إلى أشجار البلوط على أنها مقدسة، والهدال على أنها رمز للحياة في أشهر الشتاء المظلمة.

حاولت الكنيسة كبح ممارسات غير المؤمنين الوثنية، وأعطيت العادات الشعبية معنى مسيحياً، وأخذت الكنيسة الأغاني التي بدأت كأغان للاحتفالات مثل منتصف الصيف والحصاد، وبحلول أواخر العصور الوسطى، أصبحت ترانيم عيد الميلاد تقليداً، كما قامت الكنيسة بحقن المعنى المسيحي في استخدام الثمار المقدسة، مما جعلها رمزاً لتاج الشوك ليسوع.

متى ولد المسيح؟

يذكر أنه في القرن الثالث الميلادي، بدأ الجدال حول جدوى الاحتفال بميلاد المسيح، وكانت الاقتراحات تشمل 21 مارس و20 مايو، ولكن على عام 336م تبنت الكنيسة في روما التي اعترفت بها الإمبراطورية الرومانية يوم 25 ديسمبر[2].

وهناك من يعترض على هذا التاريخ من وجهة نظر تاريخية جغرافية، فإن بيت لحم في ديسمبر تكون الأجواء فيه باردة وممطرة وأحياناً ينزل فيها الجليد، وفي هذا الجو لا يخرج الرعاة ليلاً مع رعيهم؛ وبالتالي يصعب أن يخرج الناس في هذا الجو، كما ورد في إنجيل لوقا من أن ميلاده كان أثناء الاكتتاب؛ وهو إحصاء الأفراد أو المواطنين في الأماكن الخاضعة لحكم الرومان؛ وبالتالي فإن طائفة تقول: إن الميلاد كان في أكتوبر، والبعض الآخر يحاول حساب الميلاد بالحساب العكسي من يوم الوفاة حسب عقيدتهم التي وفقاً لإنجيل يوحنا كان في 14 أبريل 33م، ولما بدأ دعوته في سن الثلاثين فإن ميلاده يكون في أوائل الخريف[3].

ومنذ بضع سنوات، قام مجموعة من علماء الفلك برسم صورة تحاكي صفحة السماء في زمان عيسى عليه السلام، حيث وجدوا أن هناك احتمالاً أن تكون نجمة عيد الميلاد التي اقتادت كهان المجوس في ذلك الوقت على الأرجح توحيداً واضحاً لكوكبي الزهرة والمشتري، اللذين كانا قريبين جداً من بعضهما ويضيئان بشكل براق؛ وبالتالي نجد بعض علماء الفلك يُؤكدون أن تاريخ الميلاد كان في يوم 17 يونيو؛ أي في الصيف وليس بالشتاء، في العام الثاني قبل الميلاد[4].

وعيد الميلاد اختلف المسيحيون في موعده وانقسموا إلى فريقين؛ الأول يقول: إنه يوم 25 ديسمبر، والثاني (الأرثوذكس) يؤكد أنه يوم 7 يناير، وكان الاحتفال بعيد الميلاد في يوم 25 ديسمبر حتى عام 1582م، عندما لاحظ علماء الفلك في عهد البابا «جريجوريوس الثالث عشر»، بابا روما، أن هناك خطأ في حساب طول السنة الشمسية، حيث هي أقل من طول السنة اليولیانية، بفارق 11 دقيقة و14 ثانية، وبناء على ذلك انفصل مسيحيو الشرق (الأرثوذكس) عن مسيحيي الغرب (الكاثوليك والبروتستانت) في احتفالهم بعيد الميلاد، حيث وافق عام 1582م يوم 4 يناير، ولكي يضبط الفلكيون هذا الوضع أرسوا قاعدة تحتم حذف ثلاثة أيام كل 400 عام، ومرجع ذلك يعود إلى أن الفرق بين التقويمين بمرور الوقت إلى أن أصبح حالياً 13 يوماً، وأضحى موافقاً ليوم 7 يناير من كل عام، وسيظل هكذا حتى عام 2094م حينها سيوافق 8 يناير[5].

وبعد، فعيد مشكوك في تاريخه، ملوث ببقايا الوثنية الأولى، وصار رمزاً دينياً مسيحياً، فلا يجوز لمسلم الاحتفال به كما قال العلماء في القديم والحديث.■

الهوامش

(1) Date of Christmas and precursors, 22 June 2009 https://www.bbc.co.uk/religion/religions/christianity/holydays/christmas_1.shtml

(2) Was Jesus really born on 25 December. BBC iWonder, http://www.bbc.co.uk/guides/zwnsbk7

(3) Jesus' Birth—Where and When? www.jw.org/en/publications/books/jesus/events-up-to-jesus-ministry

(4) Jesus was born in June›, astronomers claim The Telegraph 09 Dec 2008

(5) هل عيد الميلاد (الكريسماس): 7 يناير أم 25 ديسمبر؟ موقع الأنبا تكلا هيمانوت.

المثلية الجنسية وخطورتها على البشر

المثلية الجنسية أحد أشكال الشذوذ الجنسي، التي تتضمن وجود المشاعر الرومانسية، والانجذاب الجنسي لأفراد من نفس الجنس، والرغبة بممارسة الجنس معهم.

وإباحة الشذوذ الجنسي في العصر الحديث تمّ التمهيد لها عبر الحملات التي رفعت شعارات تحرير المرأة، ومساواتها بالرجل في جميع الحقوق، ومنها الحقوق الجنسية، والترويج لمفهوم «الجندر».

د. جمال نصار

أستاذ فلسفة الأخلاق بجامعة إسطنبول صباح الدين زعيم

من الغريب حقاً أن معظم منظمات حقوق الإنسان في الغرب تعتبر أن المثلية الجنسية طبيعية جداً، وغير مَرَضية، وهي موجودة في تاريخ البشرية منذ القدم، وهنالك بعض الدول في العالم التي تشرّع زواج المثليين بعضهم بعضاً.

وتعتبر منصة «نتفليكس» الراعي الرسمي والعالمي في عصرنا لترويج الشذوذ، فهي تعج بالمسلسلات والأفلام التي تحتوي على ممارسات شاذة؛ كالمثلية، والسحاق، والبيدوفيليا (اشتهاء الأطفال جنسياً)، وكذلك شركة «ديزني» للأطفال.

موقف الشريعة

من أوائل الذين مارسوا الشذوذ الجنسي قوم لوط، حيث نهاهم عن تلكم العادة السيئة بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: 165)؛ أي أنكم قوم تتعدون الحلال إلى الحرام، ومن تعدى الحلال إلى الحرام فلا ينتظر من الله عز وجل إلا العذاب؛ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء: 166)؛ أي: متجاوزون للحد، واقعون فيما حرّم الله، فانتظروا العقوبة من الله تعالى.

والشذوذ الجنسي فيه مخالفة صريحة للفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، يقول الله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30).

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن عقوبة الشذوذ الجنسي ومخالفة الفطرة قاسية ورادعة، لبيان عِظَم وشناعة الجُرم الذي يرتكبه الشواذ الذين يتركون ما أحلّه الله عز وجل من الاستمتاع بالجنس الآخر، ويتجهون للاستمتاع بالجنس نفسه، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ (هود: 82).

واتفق الفقهاء على أن اللواط (المثلية) مُحرّم، لأنه من أغلظ الفواحش، وقد ذمّه الله تعالى في كتابه الكريم وعاب على فعله، فقال تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (الأعراف)، وقد ذمّه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «لعن الله من

إباحة الشذوذ بالعصر الحديث مُهّد له عبر حملات رفعت شعارات تحرير المرأة

عقوبة الشذوذ قاسية ورادعة لبيان عِظَم وشناعة الجُرم المرتكب

عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط».

والشذوذ فيه تعطيل للمهمة التي خُلق الإنسان من أجلها؛ وهي عبادة الله عز وجل، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعمارة الأرض بالتزاوج والتكاثر.

غياب القيم

عندما تغيب القيم الأخلاقية في مجتمع ما من المجتمعات التي يعيش فيها الإنسان؛ سنجد أن هذا المجتمع يعاني معاناة شديدة، لأنه يخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فارتكاب الجرائم التي يرتكبها الإنسان نظراً لضعف الوازع الديني والأخلاقي تصبح طبيعية نتيجة لاكتساب العادات السيئة.

وعلى ذلك، يعتبر الالتزام الأخلاقي عاملاً أساسياً في بقاء المجتمعات وتماسكها، ويتمثل ذلك في الإيمان بالله تعالى، وهو هدف اجتماعي للمجتمع المسلم يحقق له الأمن والأمان، وعندما لا يوجد الضمير الأخلاقي والوازع الديني لدى الإنسان، فهو يرتكب الجرائم البشعة في حقه وفي حق مجتمعه ومحيطه، وبالتالي يقع في حضيض من الذل والهوان، ويستخف هوانه وذله.

وبدون تنمية الحس الأخلاقي الديني في الحفاظ على القيم وإعادة الاعتبار للمبادئ الإنسانية المشتركة، وإحياء روح التضامن البشري، فإن مستقبل الحياة على هذا الكوكب سيكون محفوفاً بكثير من المخاطر؛ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: 41).

واقع الشذوذ بالعالم العربي

الشعوب العربية، في كثير من الأحيان، تابعة ومغلوبة، والمغلوب مولع دوماً بتقليد غالبه، كما قرر ابن خلدون، وبما أن الغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، يسعى سعياً حثيثاً لعولمة نموذجه الثقافي

الالتزام الأخلاقي عامل أساس في بقاء المجتمعات وتماسكها وهدف اجتماعي يحقق الأمن

والاجتماعي والاستهلاكي، فقد أتت رياح الشذوذ الجنسي على مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وبرزت أصوات تطالب بحقوق من يسمون «المثليين»، رغم قلتهم النادرة في مجتمعاتنا، فإن بعض منظمات المجتمع المدني المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي تتحدث وتطالب بحقوقهم، هذه المنظمات التي تلقى تأييداً ودعماً من الجهات الغربية في محاولة لنشر الشذوذ في المجتمعات الإسلامية، والترويج له وتعميمه وجعله معياراً للحرية.

والواقع في مجمله أن المجتمعات العربية والإسلامية تلفظ هذه المطالبات وتستنكرها، لكن الوقاية خير من العلاج، ووأد هذه المطالبات في مهدها، وبيان خطرها دائماً أمر مهم.

وسائل الحماية والمواجهة:

أولاً: الاهتمام بتبيين خطر الشذوذ الجنسي على البلدان والمجتمعات، خاصة في المجتمعات الإسلامية والعربية، على مستوى المدرسة، والمسجد، والجامعة، ووسائل الإعلام سواء المرئي، أو المقروء، أو وسائل التواصل الاجتماعي.

ثانياً: تربية النشء والمجتمع على القيم الإسلامية، لحماية الإنسانية، في ظل انفلات قيمي واسع في شتى بلدان العالم من شأنه أن يوصلها إلى الهاوية، بعكس القيم الإسلامية الثابتة المبثوثة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، التي تحافظ على الفرد والأسرة والمجتمع.

ثالثاً: الرد على الداعين للشذوذ الجنسي بشكل منهجي وعلمي، والتحذير من منظمات المجتمع المدني، ووسائل الإعلام التي تتبنى هذه الدعوات تحت مُسمى حقوق الإنسان والحرية والتقدمية والديمقراطية، وغير ذلك من الشعارات البرّاقة.

رابعاً: حثّ البرلمانيين في الدول العربية والإسلامية على التقدم بمشاريع قوانين تحاصر الشذوذ الجنسي بمنع كل ما يُشجع عليه، أو يدعو إلى إباحته، أو يناصر ما يُسمى حقوق المثليين، سواء كان الداعي منظمات مجتمع مدني، أو مواقع إلكترونية، أو صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، أو غير ذلك.

خامساً: بيان مفهوم الحرية الصحيح من وجهة النظر الإسلامية، فلا يوجد عاقل يقول: إن الإنسان حر يفعل ما يشاء، حتى لو عاد بالضرر على الغير، فالجميع متفق على تجريم القتل والسرقة مثلاً لأنها تضر الآخرين، ولم يقل أحد: إن هذا ضد الحرية، وكذلك الشذوذ الجنسي يؤدي إلى تدمير المجتمع.

سادساً: الاهتمام الكبير والتوجيه من جانب المؤسسات الحكومية، والمنظمات الأهلية، والنقابات المهنية، والاختصاصيين في الجانب الشرعي والاجتماعي، والطب النفسي، للبحث عن الأسباب، والعمل على علاج كل حالة بما يناسبها. ■

المثلية الجنسية..
أبعاد التحريم الإسلامي

د. فاطمة حافظ
كاتبة وباحثة - دكتوراة في التاريخ

واجه الفكر الإسلامي في السنوات الأخيرة جملة من القضايا غير المعهودة حملتها المتغيرات الاجتماعية المتلاحقة، من قبيل: الانتحار، والإلحاد، والتحول الجنسي، والمثلية الجنسية، وما إلى ذلك من قضايا بات لزاماً خلق أو تطوير خطاب إسلامي بشأنها، وتأسيس مقاربات أخلاقية وفلسفية استمداداً من الأصول الإسلامية في مقابلة الأطروحات المضادة.

وفي السطور التالية نناقش قضية المثلية الجنسية التي فرضتها المواثيق الحقوقية الأممية، وباتت على صلة بمسألة حرية التعبير والإبداع، وذلك من جهتين؛ الأولى تطور فكرة المثلية والسياق الذي ظهرت فيه، والثانية استعراض منطلقات التحريم من المنظور الإسلامي.

كل الشرائع والديانات شددت في إنكار الشذوذ ووسمت مرتكبيه بأنهم مخالفون للطبيعة

معظم الفقهاء اتفقوا على وجوب قتل اللواطي وجعله ابن تيمية ضمن الكبائر

موجز تاريخ المثلية في السياق الغربي:

«المثلية الجنسية» (Homosexuality) مصطلح حديث صاغه العالم المجري «كارولاي بنكريت» في أواخر القرن التاسع عشر، وهو يستخدم للدلالة على الممارسة الحميمية بين فردين من نفس الجنس (رجل - رجل، امرأة - امرأة)، وقد انتشر المصطلح وشاع استخدامه في مجالات معرفية عديدة؛ كعلم النفس والطب والأنثروبولوجي، وشيئاً فشيئاً تم استبعاد المصطلح القديم الذي استقر قروناً طويلة في الحضارتين الشرقية والغربية، وهو «اللواط» (sodomy)، حيث اعتبر مصطلحاً موصوماً وغير محايد ومحملاً بالمدلولات السلبية.

وتتفق المصادر الدينية المسيحية والإسلامية على أن أول من ابتدع هذه الممارسة قوم لوط، وثمة إشارات أن اليونان القديمة عرفت مثل هذه العلاقة، حيث نجد أثراً لها في حوارات «أفلاطون»، ومسرحيات «أرسطوفانس»، أما في عهد الرومان فقد كانت هذه العلاقة غير مقبولة؛ حيث عاقب قانون «جستنيان» الصادر عام 529م مرتكبي اللواط بالإعدام[1].

نظرت المسيحية بقلق إلى الجنس بصفة عامة وحظرته على الرهبان؛ إلا أنها أباحت نوعاً واحداً هو «الجنس الإنجابي» أو الجنس في إطار الزواج، وفي المقابل نددت بأي علاقة تقع خارج هذا الإطار أو بين أفراد الجنس الواحد، وحمل «بولس» الرسول في رسائله على

هذه الممارسة الشاذة، ووصف أربابها بأنهم الظالمون الذين لا يرثون ملكوت الله[2]، كما أدانها مجمع «لاتران» المسكوني الثالث، وشدّد على أن «من يثبت ارتكابه للانقياد الغرائزي الشهواني الذي يخالف الطبيعة سوف يعاقب»، ومن الراجح أن مصطلح الطبيعة المستخدم بكثافة في أدبيات الكنيسة إذ ذاك كان يحيل إلى ما هو أخلاقي، حيث اعتبرت الطبيعة معياراً للأخلاق.

هيمن الخطاب اللاهوتي على المجال العام طيلة قرون؛ وانعكس ذلك على القوانين التي تحظر اللواط وتعاقب مرتكبيه بقسوة، إلا أن عصر النهضة الصناعية شهد تراجعاً في هيمنة الكنيسة وخطابها، وأخذت التفسيرات والحجج الحداثية تحل محلها، وكان

النسويات شجعن على التخلص من الهيمنة الذكورية بإقامة علاقات جنسية بين النساء

الإسلام حمل على اللواط في نصوص قطعية واعتبره أحد أسباب هلاك الأمم

الطب وما يرتبط به من مجالات فرعية كعلم النفس هو المجال الذي جرت خلاله إعادة مناقشة اللواط وتقييمه، وجاء ذلك في ظل الزيادة الكبيرة بمعدلات الالتحاق بالمدارس ومكوث الطلاب بها لفترات زمنية طويلة بعيداً عن أسرهم؛ وهو ما حفز العلاقات الجنسية بين المراهقين من نفس الجنس في ظل غياب الرقيب الأسري من جهة، وتزايد حاجة الدولة لأفراد أصحّاء قادرين على تنفيذ المشروع الإمبريالي، وهو ما لا يتحقق إلا من خلال الأسر الطبيعية المحددة الوظائف والأدوار.

ومن ثم استدعت الدولة الأطباء النفسيين لفحص المتهمين بجريمة اللواط من جهة أخرى، وقام هؤلاء بفحوصاتهم التي توصلت إلى أن اللواط توجُّه وميلٌ كامن لدى الإنسان قد يمارسه أو يكبحه، وأنه يعبر عن حالة عقلية مرضية[3]، ورغم تصنيف اللواط كمرض نفسي، فإنه تصنيف أقل حدة من تصنيف المسيحية له كإثم، فالمرض لا مدخل للإنسان فيه ولا يمكن وصفه بالقبح أو الحسن، ولا يجوز معاقبة المريض، وهكذا انفتح باب الاعتراف والقبول المجتمعي له.

شهد النصف الثاني من القرن العشرين تحولاً كبيراً أو بالأحرى انقلاباً في الرؤية الغربية تجاه المثلية؛ فقد حذفتها الجمعية الأمريكية للطب النفسي من قائمة الاضطرابات النفسية، وألغيت القوانين التي حظرت اللواط في كافة البلدان، ومؤخراً نظمت تشريعات بعض الدول «الشراكة المثلية» ورتبت عليها نفس الآثار القانونية لعقد الزواج، وذهبت أخرى إلى ما هو أبعد بإقرارها «الزواج المثلي»، ومن منظور المدافعين عن هذه التطورات فإنها تعد تطبيقاً لمبدأ الحرية الفردية أحد أهم المبادئ الغربية، وتجسيداً لروح التسامح تجاه المختلف أياً ما كان.

وهذا الانقلاب في الرؤى يُمكن تفسيره على ضوء عدة أسباب، أهمها: ما يتعلق بازدراء الجنس وقمعه طويلاً في التاريخ الغربي، وصعود الفلسفات الوضعية التي تعظم من قيمة اللذة والمتعة الحسية، فحين أطيح بالإله في الفكر الفلسفي الغربي شجّع ذلك الإنسان على الانغماس في ملذّاته، وأصبح إشباعها غاية مستهدفة، وفي هذا الإطار ظهرت الثورة الجنسية في الستينيات، وانتشار أجنحة متطرفة من الحركة النسوية، إذ شجّعت النسويات على التخلص من الهيمنة الجنسية الذكورية بإقامة علاقات جنسية بين النساء.

منطلقات التحريم الإسلامي:

حمل الإسلام على اللواط في نصوص قطعية لا تحتمل التأويل، واعتبره أحد أسباب هلاك الأمم؛ ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ (الأنبياء: 74)، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ لُوطٍ فاقْتُلُوا الفاعِلَ والمفعولَ بِه»[4]، ويتفق الفقهاء -باستثناء أبي حنيفة- على وجوب قتل اللواطي وإن اختلفوا في الكيفية، وهناك عدد من المصنفات التي تبَحّر مؤلفوها

في بحث قضية اللواط، ومن بينها: «ذم اللواط» للدوري (ت 307هـ)، «تحريم اللواط» للآجُرّي (ت 360هـ)، «القول المضبوط في تحريم فعل قوم لوط» للواسطي (ت 849هـ)، «قرع السياط في قمع أهل اللواط» للسفاريني (ت 1188هـ)، وإذا كانت هذه المصنفات قد قاربت اللواط من المنظور الفقهي وبيّنت الأحكام المرتبطة به، فإن بعض الكُتّاب قد نظروا إلى ما هو أبعد من ذلك، فبحثوا عن علل التحريم سواء أكانت منطقية أو فطرية، وبعضهم حاول أن يُنَظّر للمسألة فلسفياً كابن تيمية الذي مَوْضَعَ اللواط ضمن منظومة الكبائر في الإسلام وما تُحدثه من إفساد متعدد المجالات.

ولعله مما يستلفت الانتباه أن يكون الجاحظ من أوائل الذين كتبوا في ذم اللواط واستهجنوه في رسالة قصيرة له بعنوان «تفضيل البطن على الظهر»[5]، وفيها يفند دعوى أحدهم تفضيله أن يأتي غلاماً على أنْ يأتيَ امرأةً، والجاحظ يسوق بضع حُجَج عقلية ليدحض بها هذه الدعوى الباطلة، ويمكن أن نتخير منها حجتين:

الأولى: «أن اجتماع المتباينين فيما يقع بصلاحهما (أي النسل) أولى في حكم العقل، وطريق المعرفة فيما أبادهما، وعاد بالضرر (أي تضييع النسل) في اختيارهما عليهما»، وما ذهب إليه الجاحظ قريب مما ذهب إليه الإمام الغزالي بقوله: «نُصب الزنى سبباً للرجم صيانةً للنّسْل عن الانقطاع وزَجْراً عن تضييع الماء، وهو جارٍ في اللواط»[6].

اعتبار بعض علماء النفس الشذوذ مرضاً فتح باب القبول المجتمعي له

الثانية: قوله: «والذي يدل على أن هذه الشهوة معيبة في نفسها، قبيحة في عينها، أن الله تعالى وعزّ لم يعوض في الآخرة بشهوة الولدان من ترك لوجهه في الدنيا شهوة الغلمان، كما سقى في الآخرة الخمر من تركها له في الدنيا، ثم مدح خمر الجنة بأقصر الكلام، فنظم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا فقال: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: 19)، كأنه تبارك وتعالى قال: لا سكر فيها ولا خمار»، يقصد أنه مما يدلّ على فساد شهوة الغلمان أن الله لم يعوض على الحرمان منها في الآخرة، كالخمر أو الجواري الحسان.

أما ابن تيمية فيذهب مذهباً آخر حيث يُصنّف اللواط باعتباره فرعاً من فروع الكبائر، ويقول: إن الله تعالى جعل أكبر الكبائر ثلاث: الكفر ثم القتل ثم الزنى، وهذا الترتيب معقول؛ لأن قُوَى الإنسان ثلاث: العقل، والغضب والشهوة، «فالكفر فساد المقصود الذي له خلقوا، وقتل النفس فساد النفوس الموجودة، والزنى فساد في المنتظر من النوع، فذاك إفساد الموجود، وذاك إفساد لما لم يوجد، بمنزلة من أفسد مالاً موجوداً أو منع المنعقد أن يوجد، وإعدام الموجود أعظم فساداً؛ فلهذا كان الترتيب كذلك»، وهو يربط بين الزنى واللواط ذاهباً إلى أن الأخير أعظم فساداً؛ «لأن الزنى فسادٌ في صفة الوجود لا في أصله»[7].

المحصلة الختامية أن المصنفين الإسلاميين درسوا مسألة اللواط وبحثوا في علل التحريم سواء أكانت فطرية أم عقلية أم أخلاقية، وجُلُّ ما دوّنُوه من أفكار يمكن أن يُشَكِّل لَبِنة أولية في بناء خطاب إسلامي معاصر حول هذه المسألة.■

الهوامش

(1) موسوعة ستانفورد الفلسفية، homosexuality. https://plato.stanford.edu/entries/homosexuality/.

(2) عبدالإله محمد النوايسة، المثلية الجنسية الرضائية بين التحريم والإباحة، جامعة الإمارات العربية المتحدة – كلية القانون، مجلة الشريعة والقانون، ع37 ، ص258.

(3) موسوعة ستانفورد الفلسفية، homosexuality, https://plato.stanford.edu/entries/homosexuality/.

(4) أخرجه أبو داود (4462) والترمذي (1456) وابن ماجه (2561) وأحمد (2732).

(5) أبو عمرو الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1423هـ. ص149.

(6) أبو حامد الغزالي، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، دار الإرشاد، بغداد، 1971م. ص618.

(7) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1995م. 15/ 628 - 631.

مقال

ربّانيون مع الأجيال..
المونديال وقيم القرية الواحدة

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

إن قيمَنا دينُنا، ودينَنا قيمُنا.

الجَد والأبناء والأحفاد كلهم كانوا يتابعون أخبار كأس العالم في دولة قطر، والجَد الداعية الرباني يلتقط المواقف ويعلق عليها تعليقاً تربوياً مناسباً للحدث والموقف، ويضفي روح الدعابة والمرح والبهجة، ليوصل المستمعين لحديثه والمشاهدين للأحداث بقيم الإسلام العظيمة، التي يرى طرفاً منها خلال نقل أحداث المونديال في دولة قطر!

قيمة النظام:

لقد أقبلت جماهير العالم إلى دولة قطر، فكانت أمورهم تسير بانسيابية وسهولة ويُسر من حين نزولهم أرض المطار إلى مكان إقامتهم وجولاتهم في معالم الدولة السياحية وتنقلاتهم في أحدث وسائل المواصلات، وكل ذلك بدقة في الوقت وصولاً وإقلاعاً مما يشهد بنظام محكَم ودقيق.

ويتوجه الجَد لأبنائه وأحفاده: نحن بحاجة متجددة إلى النظام في جميع شؤون حياتنا؛ لأن الفوضى والارتجالية لا تحقق أهدافاً ولا توصل لغاية سديدة رشيدة!

والإسلام دينٌ قائم على نظام دقيق في شعائره وعباداته ونظمه وتوجيهاته وقيمه وأخلاقه.

قيمة النظافة:

وكان الجَدُّ متأثراً جداً بحركة الجمهور الياباني الذي تكفل بنظافة الملاعب والمدرجات، وقد حمل بيده أكياساً وتحول إلى مجموعات عمال نظافة، وعندما سئل عن ذلك قال: نحن تعودنا ألا نترك وراءنا مخلَّفات، ووجّه الجَد كلامه للحاضرين: كم نحن بحاجة إلى العناية بنظافة الطرق والمدرسة والجامعة والمعهد والجمعية والوزارة والبيت.

ويجب ألا ننتظر الخادمة أو العامل كي ينظف ويزيل الأوراق أو بقية طلباتنا من المطاعم، وألا نرمي المخلفات من سياراتنا أو نتركها في الممرات والطرق متعمدين ومستنكفين عن النظافة!

قيمة التعارف:

ما أجمل قيمنا حين تنبع من قرآننا صافية عذبة رقراقة! ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

يوجّه الجَد الداعية الرباني انتباه أبنائه وأحفاده لأهمية التعارف بين بني البشر حتى يَألفوا ويُؤلَفوا ويتعاونوا على الخير ويأمَن بعضهم بعضاً!

والتعارف يهيئ الناس كي يستمع بعضهم لبعض باهتمام واحترام، وهذا ما كان يحدث بين كثير من الإعلاميين العرب والمسلمين وغيرهم من مختلف اللغات والأديان.

وطلب التعارف رسالة تقدير واحترام ورغبة في التعاون، وربما تعبير لاستعداد لتقديم مساعدة عندما يطلبها الآخر.

قيمة السلام والأمن:

أيها الأبناء الأعزاء الكرام، إن قرآننا وإسلامنا مفعمٌ بمعاني السلام؛ وهل يعمر الكونُ إلا بالسلام والنظام والاحترام؟ وهل تستمر الحياة إلا بالتعايش وقبول الآخر وحسن الجوار؟

لقد كان المونديال في دوحة العرب تصويراً وتعبيراً لعالمنا في عصر العولمة عصر القرية الواحدة؛ من حيث تقارب البشر وتواجدهم وتواصلهم وتعارفهم وتآلفهم.

ولعل هذه القيم أصول المنهج المدني في القرآن الكريم، فعند وصول الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة أسَّس هذا المنهج وبيَّنه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» (رواه الترمذي وصححه، وابن ماجه)، ومفهوم السلام أن يأمن الناس على دمائهم وأموالهم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمنُ مَن أمِنَهُ النَّاسُ على أموالِهِمْ وأنفُسِهِمْ، والمُهاجِرُ مَن هجرَ الخطايا والذُّنوبَ» (صحيح ابن ماجه)، ثم أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أول دستور مدني في العالم وهو وثيقة المدينة المنورة.

قيمة السمت الحسن والالتزام بالهُوية:

أيها الأبناء والأحفاد، إن العالم الراقي ليحترم ويقدر من يلتزم دينه وهُويته ومبدأه؛ لقد تفاعلت الجماهير بحب وإيجابية مع «الغترة والشماغ» العربي الخليجي، بل إن «البشت» اليوم أصبح موضة في بعض بلاد أوروبا، ولقد جربتْ كثير من نساء الغرب الحجاب واضعة إياه على رأسها!

بل إن الكثير أُعجب بالقرآن والإسلام فنطق الشهادتين، وبعضهم انبهر بصوت الأذان ومشاهدة المصلين في المسجد، والبعض أعلن ارتياحه بمنع الخمور.

إن ديننا دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وصدق الله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30).

قيمة حسن التعامل وكرم الضيافة:

أيها الأبناء والأحفاد الأعزاء، لاحظ الناس والجماهير في مونديال الدوحة حسن التعامل وكرم الضيافة ودماثة الخلق وطيب الكلمات.. كل ذلك دعاهم لقبول ما لدى أهل قطر من دين وخلق وعادات وتقاليد؛ لأن مفتاح القلوب هو حسن التعامل مع الناس عملاً وقولاً، وصدق الله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ (البقرة الآية: 83)، ومن أقوال الإمام الشهيد حسن البنا، رحمه الله تعالى: «لا تهدموا على الناس أكواخ عقيدتهم، ولكن ابنوا لهم قصراً من الإسلام السمح»، ولهذا كله ولغيره تم تكريم دولة قطر الشقيقة من قبل «فيفا» أنها أحسن دولة تم فيها تصفيات كأس العالم لكرة القدم!

قيمة الاهتمام بأمر المسلمين:

أيها الأبناء الأعزاء والأحفاد الأحباب، لقد عاشت الجماهير في المونديال قضية المسلمين الأولى؛ قضية فلسطين والمسجد الأقصى المبارك؛ تارة بالهتافات الجماهيرية، وتارة برفع الأعلام، وأخرى بعدم التجاوب مع ممثلي الإعلام الصهيوني؛ رفضاً ومقاطعة، لأن قضية فلسطين قضية عادلة، ومناصرتها مستحقة من كل ذي ضمير حي، ولطالما حاول الظلمة أن يوهموا الناس بالسلام والتطبيع مع الكيان الصهيوني المغتصب، فباءت خططهم ومؤتمراتهم بالخيبة والفشل.

فليس السلام بتشجيع القاتل على القتل، والمحتل على الاحتلال، والغاصب على الاغتصاب، واعتبار كل ذلك أمراً طبيعياً، وهو ما يُسمى بهتاناً وزوراً بالتطبيع مع الصهاينة المحتلين القاتلين.

ويا أيها الأبناء والأحفاد، لقد شاهدتم أحداث المونديال الإعلامية، وكيف رفضت الجماهير التحدث مع إعلام الصهاينة ورفضتهم وركلتهم ركلاً دينياً وأدبياً وإعلامياً كما يركل اللاعب الكرة لأنه يمثل الكيان الصهيوني المغتصب لفلسطين والمدنس للمسجد الأقصى المبارك!

والآن، الأمة تتوجه بالشكر الجزيل والعرفان الجميل والاحترام والتقدير لدولة قطر؛ قيادة وشعباً، على الدور الشهودي والحضاري الذي قامت به تجاه دينها وقيمها ومبادئها وأمتها.

والحمد لله رب العالمين.■

فقه المآلات..
أهميته وعلاقاته بالفقه الحضاري (2-2)

د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

في حلقة سابقة، تحدثنا عن فقه المآلات؛ معناه لغة واصطلاحاً، وبيان أهميته، واقتصرنا في علاقاته بألوان الفقه «الحضاري» على بيان علاقته بالأحكام الوضعية.

وفي هذه الحلقة نستأنف الحديث ونستكمله عن هذه العلاقات بينه وبين ألوان الفقه الحضاري؛ حيث سنتحدث عن علاقة فقه المآلات بفقه المقاصد، وبفقه الموازنات والأولويات، وبفقه الواقع، وبيان كيف يكون الاجتهاد والفقه «فقهاً حضارياً»، على النحو الآتي:

رابعاً: علاقة المآلات بفقه المقاصد:

مقاصد الشريعة هي غاياتها التي نزلت الشريعة لتحقيقها من أجل مصلحة العباد في العاجل والآجل جميعاً، وعرفها علال الفاسي بقوله: «المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»[1]، وهذا التعريف يجمع بين المقاصد الكلية بقوله: «الغاية منها»، والمقاصد الجزئية بقوله: «والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها».

وإن لفقه المآلات علاقة عضوية بفقه المقاصد، وقد سبق إيراد عبارة الشاطبي التي يقول فيها عن المآلات: إنه «مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة»، وهذا يشير إلى أن المآلات جارية على مقاصد الشريعة، ولكن ما وجه كون المآلات جارية على مقاصد الشريعة؟!

إن الذي يشغل الفقيه بالدرجة الأولى أثناء تنزيله الأحكام الشرعية من فقه النص إلى ساحات الواقع هو أنه يتحرى تحقيق هذا التنزيل لمقاصد الأحكام الشرعية في الواقع، وهذا لن يكون إلا برعاية الأحكام الوضعية؛ فلن يتحقق مقصود الحكم الشرعي إلا بتنزيله، ولن يتم تنزيله إلا إذا وجدت أسبابه وتحققت شروطه وانتفت موانعه، وإذا لم يتنزل فلا يمكن ترتُّبُ مقاصده بتنزيله، ومن هنا تبدو العلاقة عضوية وقوية بينهما.

خامساً: علاقة المآلات بفقه الموازنات وفقه الأولويات:

وإذا كانت المآلات جزءاً عضوياً في فقه المقاصد، فإن الموازنات والأولويات -بدورهما- جزءٌ لا يتجزأ من فقه المآلات، بمعنى أننا لا يمكننا تحديد المآلات إلا إذا قمنا بالموازنة بين المصالح والمفاسد، وبين المصالح والمصالح، وبين المفاسد والمفاسد، وتحديد مراتبها وأولوياتها، والموازنتان الأخيرتان -أعني بين المصالح والمصالح، والمفاسد والمفاسد- من أدق

ما يمكن لعمل الفقيه والمجتهد، فالإمام ابن تيمية يقول: «ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين وينشد:

إن اللبيب إذا بدا من جسمه

مرضان مختلفان داوى الأخطرا

قال: وهذا ثابت في سائر الأمور؛ فإن الطبيب مثلاً يحتاج إلى تقوية القوة ودفع المرض؛ والفساد أداة تزيدهما معاً؛ فإنه يرجح عند وفور القوة تركه إضعافاً للمرض، وعند ضعف القوة فعله لأن منفعة إبقاء القوة والمرض أولى من إذهابهما جميعاً؛ فإن ذهاب القوة مستلزم للهلاك، ولهذا استقر في عقول الناس أنه عند الجدب يكون نزول المطر لهم رحمة، وإن كان يتقوى بما ينبته أقوام على ظلمهم، لكن عدمه أشد ضرراً عليهم»[2].

ومن قبله يقرر سلطان العلماء العز ابن عبدالسلام أن «تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأن تقديم المصالح الراجحة على المرجوحة محمود حسن، وأن درء المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن، واتفق الحكماء على ذلك»[3].

فالظاهر هنا أن الموازنات خطوة أساسية سابقة على تحديد الأولويات، بل هي جزء منها لا تتجزأ عنها، فلا يمكن تحديد الأولويات إلا بعد إجراء الموازنات، ولا يمكن الوصول للمآلات إلا بعد إجراء هذه الموازنات، بين ما هو للحال وما هو للاستقبال، وبين ما هو ضروري وما هو تحسيني، وبين ما هو قطعي وما هو ظني، وبين المصالح بعضها وبعض، والمفاسد بعضها وبعض.

سادساً: علاقة المآلات بفقه الواقع:

فقه الواقع هو علم يُعنى بمعرفة أحوال الناس والأمم من المسلمين وغير المسلمين؛ والوقوف على حقائق تلك

> **الذي يشغل الفقيه أثناء تنزيله الأحكام الشرعية لساحات الواقع تحقيقه لمقاصد الأحكام الشرعية**

> **الخادمي: فقه الواقع لا يتحصل إلا بتوفر مجموعة من الاختصاصات في شُعب المعرفة تحقق التكامل**

> **الإحاطة بفقه الواقع أصبحت أمراً معقداً في عصرنا إذ تحتاج لأمور متنوعة**

الأحوال، وما بين هذه الأمم من مواضع الالتقاء والافتراق؛ وما يتباين من مصالحها وما يلتقي، وما يطرأ على ذلك من التغيير والتبديل، وما يؤثر في ذلك من العوامل والقوى؛ والعقائد والمناهج؛ والسياسات والأفكار، والأهداف والغايات، بغية التوصل بذلك إلى سبل وقاية الأمة وحمايتها من كيد عدوها، والوقوف على الأسباب التي يتعين الأخذ بها؛ لنهوضها في حاضرها ورقيها في مستقبلها؛ على الوجه الذي يقتضيه كونها خير أمة أخرجت للناس[4].

وفقه الواقع هو قسيم عملية الاجتهاد مع فقه النص؛ إذ يقول الإمام ابن القيم: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً، والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع»[5].

والإحاطة بفقه الواقع أصبحت أمراً معقداً في عصرنا ومتشابكاً تشابكاً كبيراً؛ إذ تحتاج لأمور متنوعة، ولهذا يقول د. نور الدين الخادمي: «إن فقه الواقع لا يتحصل إلا بتوفر مجموعة من الاختصاصات في شُعب المعرفة، تحقق التكامل والعقل الجماعي، حتى إننا لنعتقد أن الفقه الصحيح للنص في الكتاب والسُّنة، يقتضي فهم الواقع محل النص في ضوء الاستطاعات المتوفرة.. وفي تقديرنا أن هذه هي المعادلة المطلوبة اليوم لقضية الاجتهاد، حتى يسترد العقل عافيته، والاجتهاد دوره، والوحي مرجعيته، ويقوَّم الواقع بقيم الدين، فهماً وتنزيلاً»[6].

والواقع أن فقه الواقع هو الأرضية والحاضنة لما سوى الأحكام الشرعية وفقه نصوصها، ومن ثم تعلقه ملازم لكل هذه الأنواع من الفقه: فقه الأحكام الوضعية، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه المآلات؛ فهو قسيم فقه النص في عملية الاجتهاد، ومن ثم فإن الفقه والاجتهاد والفتوى لا يمكن أن يكون لها حضور إلا بتشابك هذه العلاقات، وتعاضد هذه الألوان من الفقه وإعمالها واعتبارها، وبها يكون الاجتهاد والفقه «حضارياً»؛ أي له «تأثير واضح»، و«توجيه قوي»، و«حضور فاعل» في حياة الناس.■

الهوامش

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: 7. طبعة دار الغرب الإسلامي.

(2) مجموع الفتاوى: 54/20. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية. السعودية. 1416هـ/1995م.

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: 1/ 5. تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.

(4) هذا التعريف وضعه الشيخ خالد بن فتحي بن خالد الأغا، في كتاب «زهر الخمائل في مسائل النوازل»: 20/ 1-2. ضمن كتب المكتبة الشاملة. بدون بيانات.

(5) إعلام الموقعين عن رب العالمين: 1/ 69. تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. 1411هـ - 1991م.

(6) الاجتهاد المقاصدي، ضوابطه ومجالاته، من مقدمة الجزء الثاني. طبعته وزارة الأوقاف القطرية. سلسلة كتاب الأمة.

إعداد- د. أحمد ناجي:
من علماء الأزهر الشريف

من فتاوى فضيلة الإمام يوسف القرضاوي يرحمه الله

صلاة الجمعة قبل الزوال وبعد العصر

• ما حكم صلاة الجمعة قبل الزوال، أو بعد دخول وقت العصر؛ وذلك لضيق الوقت لاستيعاب الخطبة والصلاة في وقت الظهر ببعض البلاد فترة الشتاء خاصة، أو لعدم وجود فرصة لأداء الجمعة بسبب الدراسة أو العمل إلا في وقت مبكر على الوقت أو متأخر عنه؟

- جمهور الفقهاء على أن وقت الجمعة هو وقت الظهر؛ أي من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيء مثله عدا فيء الزوال؛ فلا يجوز تقديمها على هذا الوقت أو تأخيرها عنه.

الحنابلة يتوسعون في أي الوقت:

ولكن الحنابلة وسَّعوا في وقتها من الأول والبداية، فجعل بعضهم وقتها وقت صلاة العيد، أي من ارتفاع الشمس بنحو عشر دقائق أو ربع ساعة، إلى أن ينتهي وقت الظهر، وبعضهم جعل وقتها من «الساعة السادسة» وهي الساعة التي تسبق الزوال، ولهم في ذلك أدلة من الحديث النبوي، ومن عمل الصحابة[1].

قال في «المبدع»: «وأول وقتها: وقت صلاة العيد، نص عليه (أي أحمد) وقاله القاضي وأصحابه؛ لقول عبدالله بن سيدان: شهدت الجمعة مع أبي بكر، فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار، ثم شهدتها مع عمر، فكانت خطبته وصلاته إلى أن أقول: قد انتصف النهار، ثم شهدتها مع عثمان، فكانت صلاته وخطبته إلى أن أقول: زال النهار، فما رأيت أحداً عاب ذلك ولا أنكره» (رواه الدارقطني وأحمد واحتج به)[2].

وقال الإمام ابن قدامة في «المغني» في شرح قول الخرقي: «وإن صلوا الجمعة قبل الزوال في الساعة السادسة؛ أجزأتهم».

قال ابن قدامة: وفي بعض النسخ، في الساعة الخامسة، والصحيح في الساعة السادسة، وظاهر كلام الخرقي أنه لا يجوز صلاتها فيما قبل السادسة، وروي عن ابن مسعود، وجابر، وسعيد، ومعاوية؛ أنهم صلوها قبل الزوال، وقال القاضي وأصحابه: يجوز فعلها في وقت صلاة العيد، وروى ذلك عبدالله (ابن الإمام أحمد) عن أبيه، قال: نذهب إلى أنها كصلاة العيد، وقال مجاهد: ما كان للناس عيد إلا في أول النهار.

وقال عطاء: كل عيد حين يمتد الضحى: الجمعة، والأضحى، والفطر، لما روي عن ابن مسعود، أنه قال: ما كان عيد إلا في أول النهار، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا الجمعة في ظل الحطيم[3].

وروي عن ابن مسعود، ومعاوية، أنهما صليا الجمعة ضحى، وقالا: إنما عجلنا خشية الحر عليكم، وروى الأثرم حديث ابن مسعود، ولأنها عيد؛ فجازت في وقت العيد؛ كالفطر والأضحى.

والدليل على أنها عيد: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا يوم جعله الله عيداً للمسلمين»[4]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «قد اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان»[5].

وقال أكثر أهل العلم: وقتها وقت الظهر، إلا أنه يستحب تعجيلها في أول وقتها؛ لقول سلمة بن الأكوع: «كنا نجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس، ثم نرجع نتتبع الفيء» (متفق عليه)، وقال أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس[6].

ولأنهما صلاتا وقت، فكان وقتهما واحداً، كالمقصورة والتامة؛ ولأن إحداهما بدل عن الأخرى، وقائمة مقامها، فأشبها الأصل المذكور؛ ولأن آخر وقتهما واحد، فكان أوله واحداً، كصلاة الحضر والسفر.

وقال ابن قدامة: ولنا على جوازها في السادسة السُنَّة والإجماع، أما السُنَّة فما روى جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي -يعني الجمعة- ثم نذهب إلى جِمالنا فنريحها حتى تزول الشمس[7]، وعن سهل بن سعد، قال: ما كنا نقيل ولا نتغدّى إلا بعد الجمعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[8].

وأما الإجماع، فروى الإمام أحمد، عن وكيع، عن جعفر بن برقان.. وذكر حديث عبدالله بن سيدان الذي ذكرناه، وفيه: فما رأيت أحداً عاب ذلك ولا أنكره، قال: وكذلك روي عن ابن مسعود، وجابر، وسعيد، ومعاوية، أنهم صلوا قبل الزوال، وأحاديثهم تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها بعد الزوال في كثير من أوقاته، ولا خلاف في جوازه، وأنه الأفضل والأولى، وأحاديثنا تدل على جواز فعلها قبل الزوال، ولا تنافي بينهما.

وأما في أول النهار، فالصحيح أنها لا تجوز؛ لما ذكره أكثر أهل العلم؛ ولأن التوقيت لا يثبت إلا بدليل، من نص، أو ما يقوم مقامه، وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن خلفائه، أنهم صلوها في أول النهار؛ ولأن مقتضى الدليل كون وقتها وقت الظهر، وإنما جاز تقديمها عليه بما ذكرنا من الدليل، وهو مختص بالساعة السادسة، فلم يجز تقديمها عليها، والله أعلم.

ولأنها لو صليت في أول النهار لفاتت أكثر المصلين؛ لأن العادة اجتماعهم لها عند الزوال، وإنما يأتيها ضحى آحاد من الناس، وعدد يسير، كما روي عن ابن مسعود، أنه أتى الجمعة فوجد أربعة قد سبقوه، فقال: رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد[9].

ويرد على هذا بأنها حين يتفق على وقتها في بلد ما، ويعلن عنه، لا تفوت أحداً، ولا تشق على أحد؛ لأنهم سيسعون إليها في الوقت المناسب لها.

على أنَّا لا نُجيز أداءها في أول النهار إلا للضرورة، أو الحاجة التي تنزل منزلة الضرورة، فيقتصر عليها، وتقدر بقدرها.

المالكية يتوسعون في آخر الوقت:

وأما المالكية، فقد وسعوا في وقت الجمعة من جهة الآخر والنهاية، فقد أجاز بعضهم أن يستمر وقتها إلى الغروب أو ما قبل الغروب بقليل اختلف في تحديده، فقال ابن القاسم: ما لم تغب الشمس، ولو كان لا يدرك بعض العصر إلا بعد الغروب.

وعند سحنون: قبل الغروب بقدر الخطبة والجمعة وجملة العصر، وبعضهم قال: إلى اصفرار الشمس.. إلخ[10].

الخلاصة:

وعلى ضوء هذا، يمكننا الاستفادة من هذه الرخصة في المذهبين الحنبلي والمالكي، إذا وجدنا المسلمين في حاجة إليهما، حتى لا تضيع على المسلمين الجمعة خارج دار الإسلام، وهي من الأمور المهمة التي يجب أن يحرص عليها المسلمون، ويتشبثوا بها؛ لما فيها من تقوية الروابط، وتوثيق الصلة بالدين وشعائره، وتذكير المسلمين إذا نسوا، وتقويتهم إذا ضعفوا، وتأكيد هويتهم، وتثبيت أخوتهم.

فإذا استطعنا أن يصلي المسلمون الجمعة في الوقت المتفق عليه، وهو بعد الزوال إلى العصر؛ فهو الأولى والأحوط، والواجب على قادة المسلمين الفكريين والعلميين أن يحرصوا دائماً على الخروج من المختلف فيه إلى المتفق عليه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

أما إذا تعارض ذلك مع ظروف المسلمين في بعض البلدان أو في بعض الأوقات، أو في بعض الأحوال؛ فلا حرج في الأخذ بالمذهب الحنبلي في التبكير بالصلاة قبل الزوال، ولو في وقت صلاة العيد عند الضرورة؛ فإن للضرورات أحكامها.

وكذلك في الأخذ بالمذهب المالكي بجواز تأخير الصلاة إلى ما بعد العصر؛ تقديراً للحاجة، وتحقيقاً لهذه المصلحة الدينية.

على أن يعلن ذلك على المسلمين ويعرفوه، ويتفقوا عليه؛ حتى يجتمعوا عليه، ويؤدوا فريضتهم الأسبوعية، كما أمر الله تعالى ورسوله[11].■

الهوامش

(1) الساعة السادسة هي الساعة التي تسبق الزوال، فإن كان وقت الظهر فقط من الساعة الثانية عشرة ظهراً؛ فالساعة السادسة تبدأ من الساعة الحادية عشرة.

(2) المبدع في شرح المقنع لابن مفلح ج2/ 147، 148، وحديث ابن سيدان قال الحافظ في الفتح: (2/ 321): رجاله ثقات، إلا عبد الله بن سيدان، فإنه تابعي كبير، إلا أنه غير معروف بالعدالة، قال ابن عدي: شبه المجهول، وقال البخاري: لا يتابع على حديثه، بل عارضه ما هو أقوى منه.

(3) الحطيم بمكة: هو ما بين المقام إلى الباب، أو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، معجم البلدان 2/ 290.

(4) أخرجه ابن ماجه، في باب: ما جاء في الزينة يوم الجمعة، من كتاب إقامة الصلاة، سنن ابن ماجه 1/ 349، والإمام مالك، في: باب ما جاء في السواك، من كتاب الطهارة، الموطأ 1/ 65 مرسلاً.

(5) رواه أبو داود في الصلاة عن أبي هريرة: (1073) وابن ماجة: (1311).

(6) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء»، (30/6) واللفظ له، وأخرجه البخاري (904) باختلاف يسير.

(7) أخرجه مسلم (858).

(8) صحيح ابن ماجه، تحت رقم: 909.

(9) انظر: المغني لابن قدامه، بتحقيق د. عبدالله التركي، ود. عبدالفتاح الحلو.

(10) انظر: الذخيرة للقرافي ج2/ 232، 331.

(11) بتصرف من موقع الإمام يوسف القرضاوي يرحمه الله.

غلبة الدَّيْن

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

للدَّيْن غلبة تستولي على النفس وتعجزها وتقهرها، ليس على مستوى الفرد فحسب، بل على مستوى الأسَر والمجتمعات والدول والشعوب، لا سيما إذا لم يجد المَدِين منهم ما يقضي به دَيْنه إذا حَلّ، ووقف له صاحب الدَّين مطالباً به؛ لذا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله تعالى من غلبة الدَّيْن، وجاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه كانَ يَدْعُو في الصَّلَاةِ ويقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ المَأْثَمِ والمَغْرَمِ»، فَقالَ له قَائِلٌ: ما أكْثَرَ ما تَسْتَعِيذُ يا رَسولَ اللَّهِ مِنَ المَغْرَمِ! قالَ: «إنَّ الرَّجُلَ إذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، ووَعَدَ فأخْلَفَ» (رواه البخاري).

إن استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من غلبة الدين تشعرنا أن الدَّين همٌّ ثقيل يُستعاذ بالله منه ويُلجأ إليه فيه ليزيحه عن العبد ويعينه وييسر له قضاء دَينه المسبب لهذا الهمّ، كما تشير إلى آثاره على المَدِين ظاهراً وباطناً، وتدعو إلى عدم الاستدانة إلا عند الحاجة والضرورة.

رغم أن الدَّيْن ثقيل على النفس فقد يكون ضرورة في بعض الأوقات

الله تعالى يوفي صاحب الحق حقه يوم القيامة من حسنات مَن قصَّر ولم يفِ بوعده

أحوال الناس مع الديون:

والدَّيْن وإن كان ثقيلاً على النفس، إلا أنه قد يكون ضرورة؛ حيث تشتد الحاجة إليه في بعض الأوقات مع العوز والفقر، أو عند الحالات الطارئة التي تحتاج مزيداً من المال، وقد خلق الله تعالى عباده ولم يجعلهم على درجة واحدة في المال والحال، لكنه سبحانه حث الغني على الصدقة والعطاء والبذل والإقراض، وجعل ذلك عبادة وقربة إليه، ووعده بالأجر العظيم، فقال سبحانه: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: 11)، كما حث الفقير على الاستعفاف والصبر، ومقابلة إحسان مَن يقرضه بإحسانٍ مثله في قضاء الدَّيْن في وقته وأداء الأمانة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء: 58).

وللناس مع الديون أحوال شتى، فمنهم مَن يستدين للحاجة والضرورة حين انقطاع السبل به، ووقوع البلاء عليه، ويحتاج بشدة لهذا المال ليقضي به حاجته ويزيل به شدته، وفي مثل هذه الحال فإنه يجب على المسلم أن يعين أخاه في حاجته بالصدقة والعطاء وتنفيس الكرب، أو بإقراضه من ماله تفريجاً لكربته إلى أن ييسر الله له ويرفع عنه الضر الذي مسه، فالمقترض مُعانٌ إن شاء الله، والمقرِض مأجور

استعِذ بالله من هذه الثمانية (الجزء السابع)

جلس حزيناً مهموماً يبدو الحزن على قسمات وجهه وهو يمسك بتلك الورقة التي كتبها منذ عامين تقريباً، التي وضع اسمه في أسفلها مُوَقّعاً على ما فيها من دَيْن قد أقر به، وها قد اقترب وقت سداده، تفكر ملياً وهو يتنهد كم أصابه هذا الدَّيْن من همّ وألم! وكم سبّب له من حزن وأرق! وتمنى أن يقضي دَيْنَه هذا الذي غلبه وأقضّ مضجعه، ورفع يديه داعياً مستعيذاً بالله من غلبة الدّين، فهكذا هو الدّيْن كما قيل عنه: إنه همٌّ بالليل ومذلة بالنهار.

بفضل الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن نَفَّسَ عن مُؤمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّه عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يومِ القيامَةِ، ومَن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّه عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ..» (رواه مسلم).

ومنهم مَن يستدين من أخيه لمجرد الترفه في المطعم والمشرب والملبس، والتوسع في النفقة وما ليس بضرورة مما لا يضير العبد الصبر عنه؛ فهذا لا عذر له في الاقتراض، وتلزمه القناعة وحسن الرضا بما أعطاه الله، والسعي الحلال في طلب الزيادة في الرزق حتى لا يتعرض للنظر لما في أيدي الناس.

أما الصنف الثالث فهو مَن يستدين لأي سبب كان، لضرورة أو لغير ضرورة، لطاعة أو لمعصية، وهو ينوي في قرارة نفسه عدم الوفاء بهذا الدَّيْن، ويعزم على أكل مال أخيه الذي أحسن إليه وفرّج عنه، وفي مثل هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أيُّما رجلٍ يَدَّيِنُ دَيناً وهو مجمعٌ ألا يوفِّيه إيَّاه لقي اللَّه سارِقاً» (رواه ابن ماجه).

والصنف الرابع والأخطر، هو مَن يستدين بالربا، فيقع في معصية الله، وقد حرم الربا على المقرِض والمقترِض، حيث يربو مال الدائن ويكثر بغير حق، بينما يتضاعف الدَّيْن على المقترِض فيزداد حاجة فوق حاجته وهمّاً على همّه.

الدَّيْن أمانة:

مَن اقترض من أخيه فأقرضه وأمنه على ماله، فقد صار ذلك الدَّيْن أمانة في ذمته، وحفاظاً على هذه الأمانة من الضياع أو التغيير أو الجحود أو النسيان؛ فإن على الدائن والمَدين أن يكتبا هذا الدَّيْن، ويُشهدا عليه إذا تطلب الأمر ذلك؛ فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾(البقرة: 282).

ومما يؤكد خطورة الدَّيْن أن أطول آية في القرآن الكريم هي آية الدَّيْن، ففيها ما يحفظ الحقوق ويرغب في أدائها، أما إذا لم يُكتب الدَّيْن فعلى المَدين أن يتقي الله ويسارع بردّ الحق إلى صاحبه متى حلّ وقت الأداء، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّه رَبَّهُ﴾ (البقرة: 283)، وليسارع بأداء دَيْنه متى استطاع ذلك، ولا يقصِّر، فإنه إن قصَّر أو نوى عدم الوفاء فإن الله تعالى يوفي صاحب الحق حقه يوم القيامة من حسنات مَن قصَّر ولم يفِ بوعده، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نفسُ المؤمنِ معلَّقةٌ بدَيْنه حتَّى يُقضَى عنهُ» (رواه الترمذي)، وقال: «مَنْ ماتَ وعليْه دينارٌ أوْ درْهَمٌ، قُضِيَ من حسناته، ليْسَ ثَمَّ دينارٌ ولا درهَمٌ» (رواه ابن ماجه)، لذا كان على الورثة إن كان على ميتهم دَيْن أن يسارعوا بقضاء دَيْنه من ماله الذي تركه أو من مالهم؛ حتى تبرأ ذمته ويعفو الله عنه.

أبشر أيها المُقرِض:

أبشر بخير من الله لك في الدنيا والآخرة، فقد فرجتَ كرب أخيك وأقرضتَه حاجته دون منٍّ منك ولا زيادة من نفع أو ربا، بل وصبرت عليه، وأنظرته امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ (البقرة: 280).

أبشر بالنجاة والكرامة يوم القيامة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّه من كُرَبِ يوم القيامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْه» (رواه مسلم)، وقال: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عنْه، أَظَلَّهُ اللَّه في ظِلِّه» (رواه مسلم).

أبشر بمضاعفة الأجر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مُسلمٍ يُقرِضُ مسلمًا قرضًا مرَّتين إلَّا كانَ كصدقتِها مرَّةً» (رواه ابن ماجه)، وقال: «من أنظرَ معسراً كانَ لَه بكلِّ يوم صدقةٌ ومَن أنظرَه بعدَ حلِّه كانَ لَه مثلَه في كلِّ يومٍ صدقةٌ» (رواه ابن ماجه).■

على الدائن والمدين أن يكتبا الدَّيْن ويُشهدا عليه إذا تطلب الأمر حفظاً للحقوق

النبي بشّر المُقرض بأجور كثيرة مثل النجاة والكرامة ومضاعفة الأجر يوم القيامة

كيف نعيد لبيوتنا الدفء والوئام؟

د. يحيى عثمان

استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء الكويتي سابقاً
y3thman1@hotmail.com

تناولنا في العدد السابق مشكلة إحدى الأخوات التي تساءلت لماذا تحولت بيوتنا إلى جزر منعزلة؟ كل ولد في غرفته، لا يفارقه الهاتف، لا يتواصل مع والديه إلا إذا كان له طلب ومن خلال هاتفه، ليس هناك أي نشاط يجمع العائلة، حتى تناول الطعام في العطلة كل في غرفته.

لم تدرك الأم هذه الكارثة إلا بعد أن اضطرها المرض للمكوث بالمنزل، حيث فوجئت أن الخادمة هي التي تسأل عنها وترعاها، وأن الأولاد يمرون عليها عند عودتهم من المدرسة.

وبتحليل المشكلة، تبين أن الوالدين هما المسؤولان عن ذلك، وأن الأبناء مجنيٌّ عليهم، للأسباب التالية:

- تقصير الزوج في القيام بمسؤوليته عن أسرته (القوامة)، وإلزام زوجته بالتفرغ لتربية أولادهما.
- تفضيل الأم لنجاحها وتفوقها المهني عن القيام بمسؤولياتها كأم وهو الأهم على الإطلاق، وهو فرض عين عليها وزوجها.
- الخدم للمساعدة في القيام بأعمال المنزل، ويجب ألا يكون لهم أي دور في تربية الأولاد.
- سوء النموذج السلوكي للوالدين؛ أب مشغول بإدارة أعماله، وأم مشغولة بترقيها المهني، ومتابعة كل منهما لاهتماماته تليفونياً في الوقت القليل الذي يقضيانه بالمنزل.
- عدم وجود أي نشاط أسري يجمع الوالدين وأولادهما، حتى إنهم لا يجتمعون على وجبة في اليوم.

مما أدى إلى التصورات النفسية التالية لدى الأولاد:

- شعور الأولاد بتدني قيمتهم لدى والديهم، وعدم الاهتمام بهم.
- تلاشي قيمة الوالدين في حياة الأولاد، وقصور دورهما على تلبية طلباتهم المادية.
- البحث عن ملء الفراغ من خلال ما يوفره الهاتف من طيب أو خبيث.
- ضعف قدرة الأولاد على التواصل العائلي ناهيك عن التواصل الاجتماعي.
- انحسار مفهوم البيت في غرفاتهم الخاصة حتى وصل الأمر أن يطلق الولد على غرفته «داري».
- قصور عالم الأولاد على العالم الافتراضي؛ يستقي منه قيمه وعلاقاته ومعارفه.

لذا، فالأولاد مجنيٌّ عليهم، والوالدان هما المسؤولان مسؤولية كاملة عن هذا البيت الخرب.

ونتناول في هذه الحلقة الإجابة عن التساؤل المهم: كيف يمكن لنا إعادة الحياة لهذا البيت؟

القناعة الراسخة بقيمة وأهمية وفرضية وأولوية التربية:

لقد أشرنا في ومضات سريعة أن تربية الأولاد أمانة سنسأل عنها من الله سبحانه وتعالى، وهي فرض عين على الوالدين، لذا ومن القاعدة الفقهية «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، فيجب على الوالدين التزود بالمعرفة الشرعية حتى يتمكنان من القيام بأمانة التربية.

برنامج معرفي تربوي:

إن من أخطر التحديات التي تواجه الوالدان هي تربية الأولاد في بيئة تموج بالكثير من المخاطر الأخلاقية والأفكار العلمانية وسيطرة الأسباب المادية من خلال ما يوفره الهاتف من التواصل مع كل الثقافات؛ لذا فلم تعد التربية اجتهادات ورؤى شخصية، بل أصبحت منهجيات وبرامج مستقاة من العديد من العلوم لتزويد الوالدين بالمعين المعرفي، بالإضافة إلى التدريب على العديد من المهارات التربوية وتنمية قدراتهما التربوية؛ لذا يجب على الوالدين دراسة وأؤكد دراسة وليس فقط مجرد إطلاع على كل ما يعينهما على أداء أمانة التربية وإعادة صياغتها بما يتناسب وطبيعة وسمات أولادهما، بل والإبداع بما يمكنهما من أداء هذه الأمانة العظيمة.

القيام بمسؤولية التربية:

كثيراً ما أكرر: «استثمر في أولادك قبل أن تستثمر لأولادك»، نعم لقد حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على أن نُورث لأولادنا ما نستطيع: «.. أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِن أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ..» (صحيح البخاري، 5688)، عادة ما يحرص الوالدان على تكوين استثمارات لدعم مستقبل لأولادهما، ويبذلان جل وكل وقتهما في ذلك، ويتناسيا أولادهما! إن فقه الأولويات يقتضي إعطاء كل وجل الجهود لتربية الأولاد، ولا حرج لتكوين مدخرات واستثمارها ما لم يؤثر ذلك سلباً على القيام بأمانة التربية؛ لذا فأرى استقالة الأم وتفرغها لتربية الأولاد وإصلاح ما أفسدته هي وزوجها، أيضاً الأب عليه وضع حد لمتابعة أعماله 6 – 8 ساعات يومياً كحد أقصى، حتى يتمكن

من التعاون مع الأم في حسن أداء أمانة تربية أولادهما.

حفلة تدشين المرحلة الجديدة:

يجب أن يشعر الأولاد أن هناك تغييراً جذرياً ليس فقط في علاقاتهم بوالديهم، ولكن في كل البيت؛ لذا يجب التجهيز لحفلة يراعى فيها كل ما يحبه الأولاد، وأن هناك هدايا ومفاجآت، يتبادل الوالدان الحديث الذي يجب أن يتضمن ما يلي:

- مدى حب الوالدين لهم، وأنهم أثمن قيمة يحرصان عليها، والإشادة بهم بصفة عامة مع تخصيص كل منهم بقيمة تميزه عن غيره من إخوانه.
- وصف عام لحالة البيت والانعزالية التي يعيشها كل أفراد العائلة، وأنهما المسؤولان عن ذلك، وتبرير ذلك ببناء مستقبل لهم.
- ومن حيث إن الأولاد أعظم قيمة يجب الحرص عليها، فقد قررت الأم التفرغ للأولاد، وكذلك الأب تقنين ساعات عمله حتى يتمتعان بالأولاد.

إعطاء نموذج عملي سلوكي لأي قيمة يراد التزام الأولاد بها قبل توجيهم المباشر.

مثال:

- التزام الوالدين بعدم استخدام الهاتف في حضور الأولاد إلا للضرورة وفي أقل وقت ممكن.
- حرص الوالدين على قراءة وردهما القرآني معاً في وقت تواجد الأولاد بالمنزل.

يوم عائلي كل أسبوع:

تقضي العائلة يوماً كاملاً معاً بالمنزل حيث يشترك الجميع في إعداد الطعام والحديث معاً والاطمئنان على بعضهم بعضاً، ومتابعة إحدى الفقرات الفنية والثقافية والدينية والرياضية.. على حسب تفضيلات الأولاد.

أو تقضي العائلة

الخدم للمساعدة في أعمال المنزل وليس لهم أي دور في تربية الأولاد

على الوالدين التزود بالمعرفة الشرعية حتى يتمكنا من القيام بأمانة التربية

يوماً كاملاً معاً في إحدى المنتزهات.

الحرص على إيجاد مساحات مشتركة:

- الاشتراك العائلي بأحد النوادي الرياضة، والحرص على مشاركة الأولاد في هواياتهم، أو مشاهداتهم أثناء التدريب أو المباريات.
- مشاركتهم في الألعاب المنزلية، وعمل مسابقات بين أفراد العائلة؛ مثل الشطرنج أو التنافس في اختبارات الذكاء أو المعلومات العامة..
- ليلة ثقافية كل شهر يقدم فيها كل أفراد العائلة فقرة؛ مثل ملخص كتاب أو فيلم وثائقي أو اكتشاف علمي أو مخاطر الإنترنت، وما الضوابط الشرعية لتجنبها؟ كيف تستفيد بوقتك؟ التاريخ الإسلامي، التحديات التي تواجه الفرد والأسرة والأمة المسلمة في عصر العولمة.

ليلة دينية كل شهر، صيام يوم وقيام بما تيسر، ويتبادل الأب والأولاد الإمامة، وتذكرة وموعظة وحلقة حول تدبر آية، وإن لم يستطع أحد فعلى الأقل الاستماع إلى أحد العلماء، يوجد بـ«يوتيوب» ملايين الساعات لكبار العلماء في كل ما يحتاجه المسلم.

زيارة خاصة:

إن التنمية الوجدانية من أهم أدوات التربية؛ لذا فإن التفاعل الوجداني مع الأولاد من خلال التعبير عن حبنا لهم: كلمات الحب والتقدير، الاهتمام، الهدية، تفهم قدراتهم ومشاعرهم، قبول العذر بل والبحث عن أعذار لهم، الدعم النفسي، ثقتنا بهم وثقتهم بنا.

يجب أن يحرص الوالدان بالتناوب على الخروج في نزهة مع كل ولد على انفراد، أو زيارة خاصة في غرفته أسبوعياً، وبذل كل وجل الجهد لعمل صداقة قوية معه، وبناء جسور الثقة بينهما، وأن يعبرا عن حبهما له وتقديره والإشادة بمناقب حقيقية به، بحيث يمكن للولد أن يعبر عما يجول بخاطره دون خوف من لوم أو عقاب، لعل هذه الجلسة من أهم الوسائل التربوية التي تؤثر تأثيراً طيباً في المسيرة التربوية للولد.

إن تعبير الوالدين عن مدى حبهما لولدهما وشمله بالعطف والحنان على انفراد؛ يقوي علاقته بوالديه، ويزيد بقيمة الولاء العائلي، ويرفع من قيمة الاعتزاز بالانتماء، وأنه من نسل هذين الوالدين، كذلك فإن دعم ثقة الولد بنفسه وثقته بوالديه يساعد على فتح قنوات التلقي والتأثر بقيم والديه، ولا يجد حرجاً في التعبير عما يجول بخاطره؛ فيسهل على الوالدين إرشاده لما فيه خيره.■

الأخيرة

بقلم: سالم حمد القحطاني

رئيس التحرير

الحركة الإسلامية والصندوق الوهمي

تتميز الحركة الإسلامية بعلاقاتها الودودة مع الخارجين عنها، والذين اختاروا الانصراف عن طريقها ومنهجها، خلافاً لكثير من الحركات التي تشتعل الحروب بينها وبين أي فرد يخرج عن إطارها الحركي.. ويعود الفضل في ذلك للجانب الأخوي والإيماني الذي تنفرد به الحركة الإسلامية.

إلا أن هذه الميزة لا تقابَل دائماً بحسن الوفاء والعهد من بعض الخارجين من الحركة الإسلامية، الذين دأبوا على ترديد عدد من التهم للحركة ينافيها الواقع وتدحضها الحجة، مع التسليم بأن الحركة الإسلامية غير معصومة ويعتريها النقص والقصور، إلا أن ما نحن بصدده هو الاتهامات الزائفة من أناس كانوا يوماً شركاء في القرار والتأثير.

ومن أشهر تلك التهم أن الحركة تجعل أفرادها مقيدين ومقولبين في صندوق بحيث لا يملك الفرد أي نوع من التفكير خارج هذا الصندوق، وأن من يخرج من الحركة فإنه يتخلص من القيود المعيقة وينطلق في الفضاء الواسع!

ولا شك أن هذه التهمة لا يقبلها عقل ولا يقيمها واقع، لعدة أمور:

أولاً: كل عمل منظم في أي مجال من المجالات تربط بين أفراده مجموعة من الأطر والنظم واللوائح العامة التي تحكم طبيعة علاقاتهم بعضهم بعضاً، وكذلك بالمؤسسة/الفريق/الجماعة التي ينتمون إليها.. وهذا لا يعد قولبة ولا تنميطاً، بل هو تنظيم للوصول للأهداف المرجوة من خلال استثمار كل الجهود بأفضل صورة ممكنة، والحركة الإسلامية ليست بدعاً في هذا الأمر، وهذا ما يسود بين أفرادها.

ثانياً: تتميز الحركة الإسلامية عن غيرها من الكثير من المؤسسات الأخرى بوجود مجالس شورية تنظم هذه العلاقات وتراقبها؛ فالشورى عند الحركة الإسلامية أساس، وعلى الجميع الالتزام بها وبما تقرره، لكن يلاحَظ أن بعض الأفراد لم يرسّخ فقه الشورى لديهم؛ فتجدهم يخالفون رأي الأغلبية إذا لم يوافق هواهم، ويتفلّتون من العمل الجماعي، ويتهمون الأغلبية باتهامات باطلة تبريراً لأفعالهم، ومنها الاتهام بالقولبة وسياسة القطيع.. إلخ.

ثالثاً: ما تُلزم به الحركة الإسلامية أتباعها لا يتعدى ما يستقيم به أي عمل جماعي بالصورة التي أشرنا إليها سابقاً، أما باقي الأمور فلهم حرية الاختيار فيها؛ فلا تُلزمهم مثلاً بمذهب فقهي بعينه؛ بل تؤسس فقه الاختلاف، فلا ينكر أحد على آخر شيئاً مما يدخل في نطاق الخلاف الفقهي المعتبر.

رابعاً: إن ما تزخر به الحركة الإسلامية من أعلام ملؤوا الدنيا علماً وحركة في كل المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والدعوية هو أوضح رد على هذه التهمة، ونظرة على كتاب «من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة» للمستشار عبدالله العقيل تهدي لهذا الثراء الكبير في أبناء الحركة الذين تنوعت مجالاتهم وتخصصاتهم، وأفنوا حياتهم بين أركان الدعوة لم يشكوا من قولبة ولا تنميط وإلا لما وصلوا لما وصلوا إليه.

خامساً: كنا نود ممن يكيلون هذه الاتهامات للحركة التي صنعت منهم رموزاً وترعرعوا في رحابها أن نجد أثراً لانطلاقهم بعد كسرهم الصناديق «المتوهمة»؛ بل ما حدث هو العكس، وهو أن كثيراً منهم كانوا ملء السمع والبصر وهم في رحاب الحركة، وبعد أن تركوها انطفأت جذوتهم ولم يسمع بهم أحد؛ مع أن المنتظر كان هو العكس بعد التخلص من القيود التي كانت تقيدهم كما يدّعون!

سادساً: لو أن الأمر كان كما يدّعي هؤلاء لانزوت الحركة الإسلامية وتفتت تفتتاً ذاتياً، ولما لجأ أعداء الإسلام لمحاربتها بكل أسلحتهم في كل مكان.

سابعاً: إن إنجازات الحركة الإسلامية في مختلف المجالات لهو أبلغ رد على بطلان هذه الاتهامات، ولعل هذا الملف الخاص الذي تقدمه مجلة «المجتمع» في هذا العدد الذي يرصد الخسائر التي مُنيت بها المجتمعات بتغييب الإسلاميين من الشواهد على هذا.

ولعل ما سبق يكون فيه الدروع الواقية للحركة الإسلامية في مواجهة النيران الصديقة التي تنهال عليها ممن كانوا في يوم من الأيام أبناء بررة لها، وكانت تنتظر منهم الدفاع عنها في مواجهة الحملات الشرسة التي تأتيها من كل حدب وصوب من الخارج.■

2005
جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الأقربون أولى بالمعروف
الأمانة العامة للأوقاف
Kuwait Awqaf Public Foundation
حملة
كسوة الشتاء
كن سببا بتفريج
معاناتهم
بالشتاء
للمساهمة في توفير كسوة
الشتاء والدفايات لعدد 500 أسرة
من أسر السجناء
تجوز الزكاة
24834414 94064061
www.altkaful.com
@Takaful.Association
@altakaful
CERTIFIED ISO 9001:2015 COMPANY

نمـــاء الخيريـــة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي

إغاثة **اللاجئين السوريين**

كن عوناً لهم

مواد تدفئة

سلة غذائية

ملابس وبطانية

1 8888 33

نهتـــم بالإنســـان